ديوان الرسائل

في عصر السلطان مسعود الغزنوي

٤٢١ - ٤٣٢هـ / ١٠٣٠ - ١٠٤٠م

دكتور
بدر عبد الرحمن محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية آداب بنها

الطبعة الأولى
١٩٩٧

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة



فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد فهذا كتاب يتناول « ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود الغزنوى » يتجلى فيه دور الغزنويين الحضارى فى المشرق الإسلامى ، بعد أن أسست دولة لها وجودها السياسى وتأثيراتها الحضارية ، وظهر ذلك واضحا فى قيادة تتمثل فى السلطان الغزنوى ورجال البلاط ودواوين الدولة ومنها ديوان الرسائل .

فقد ظهر الغزنويون فى وقت كانت ترزح فيه الخلافة العباسية تحت تسلط البويهيين الشيعة ، ومما ساعد على تقارب الخلافة العباسية والغزنويين، أن الغزنويين كانوا من أنصار المذهب السنى مذهب الخلافة العباسية ، فحاربوا أعداء الخلافة العباسية والمناهضين لها ، وكان لهم دورهم فى القضاء على الدولة السامانية التى كانوا عمالا لها وذلك بالتضافر مع الأتراك الشرقيين (القره خانيين).

وبدأت ملامح الدولة الغزنوية تأخذ شكلها وطابعها السياسى أيام سبكتكين وابنه محمود الغزنوى وكان عصر السلطان مسعود هو العصر الذهبى للدولة الغزنوية إذ تولى هذا السلطان بعد أن ثبت سبكتكين الجد و محمود الأب أركان الدولة الغزنوية ، فأتسعت أرجائها ببسط نفوذها على الولايات الشرقية ، وكذلك مدوا السيطرة الإسلامية إلى بلاد الهند ومدوا نفوذ الخلافة على هذه المناطق .

على أن هذا الملك العريض الذى أسسه الغزنويون قضى عليه السلاجقة والغوريون . فقد مد السلاجقة نفوذهم إلى أراض الغزنويين فى الشرق تدريجيًا انتقامًا لما حدث من الغزنويين تجاه قادة السلاجقة إذ قام محمود الغزنوى بالقبض على زعميهم أرسلان بن سلجوق وأسره ومن معه من أمراء السلاجقة فى أحدى قلاع الهند حيث توفى بها .

عول السلاجقة على الانتقام من الغزنويين ، فأخذوا فى تدعيم قوتهم العسكرية فى الوقت الذى انصرف سلاطين الغزنويين إلى فتوح الهند حتى حلت بهم الهزيمة فى داندانقان سنة ٤٣١هـ .

وكان من الطبيعى أن يكون للدولة الغزنوية رسومها ، ومن هذه الرسوم ديوان الرسائل الذى لعب دوراً هامًا فى سياسة الدولة الغزنوية .

وكان لأهمية ديوان الرسائل أن كان رئيسه يمثل حلقة الاتصال بين رجال الدولة والسلطان ، بل نستطيع القول بأن رئيس ديوان الرسائل كان عين السلطان على دولته ، بما كان لهذا الرئيس من معاونين على رأسهم نائب رئيس ديوان الرسائل وكبار كتاب الدولة وموظفى وعمال هذا الديوان .

وكان هناك تقليد فى أن لا يتولى أى شخص منصبًا ألا بعد توافر شروط معينة فيه منها الخبرة والحنكة والسن المناسبة ، فبعد وفاة أبى نصر مشكان رئيس ديوان الرسائل فى عهد محمود الغزنوى وابنه السلطان مسعود عرض على السلطان مسعود اسم أبى الفضل البيهقى – نائب الديوان – ليتولى رئاسته ، إلا أن السلطان رأى من هو أولى منه بالتقدم وكبر السن مع شهادة السلطان لأبى الفضل بالكفاءة والجدارة فى العمل بديوان الرسائل .

ولما تولى أبو سهل الزوزنى رئاسة ديوان الرسائل لم يكن على وفاق مع أبى الفضل البيهقى مما حدا بهذا الأخير إلى أن يطلب من السلطان مسعود أن يعفيه من منصبه ، فطلب السلطان من أبى سهل الزوزنى والوزير أحمد ابن عبد الصمد رعاية أبى الفضل باعتبار أن أى إساءة إليه تعتبر إساءة شخصية إلى السلطان نفسه .

بدأت الكتاب بتمهيد تناولت فيه ظهور الغزنويين واتساع دولتهم فى المناطق الشرقية ، وعرضت لفتوح الغزنويين فى الهند ، ثم تحدثت عن ظهور السلاجقة ودورهم فى القضاء على نفوذ الغزنويين فى المشرق . بعد انتصارهم على السلطان مسعود فى موقعة داند انقان سنة ٤٣١هـ .

ثم عرضت لـ « قانون ديوان الرسائل » لابن منجب الصيرفى الذى تولى رئاسة هذا الديوان فى العصر الفاطمى الثانى والذى حدا بنا إلى التعرض لهذا الكتاب أنه كان مادة لدراسة إثنين من المتخصصين فى الآثار والتاريخ أولهما على بهجت والثانى الدكتور أيمن فؤاد سيد .

وقد خرجنا من تعرض هذين الباحثين لهذا الكتاب أن القانون الذى وضعه ابن منجب لديوان الرسائل نظرى بحت فلم يعرض للتنظيم الداخلى لهذا الديوان.

وبدأنا الحديث عن ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود (٤٢١ - ٤٣٢ هـ/١٠٣٠-١٠٤٠م) فتكلمنا عن نشأة ديوان الرسائل ثم تناولنا رؤساء ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود ومنهم أبو نصر مشكان واعتداده بنفسه ، وعن خبرته بالتاريخ والأخبار وعن مكانة أبى نصر ودوره فى إعادة الوزير أحمد بن الحسن الميمندى إلى الوزارة بعد إطلاق سراحه . كذلك دور

أبى نصر فى إزالة شك السلطان مسعود تجاه الوزير أحمد بن عبد الصمد . وكبير الحجاب على قريب . وكذلك براعة أبى نصر فى تحرى الأخبار .

وبعد أن توفى أبو نصر شكان نصب السلطان أبا سهل الزوزنى مكانه فبلغ أبا سهل الزوزنى من السلطان ما يشبه مرتبة الوزير حتى أصبح الرجل الوحيد الذى يخاطبه فى كل الشئون .

ثم عرضنا لمنصب نائب رئيس الديوان وهو المنصب الذى كان يتولاه أبو الفضل البيهقى فى عهد السلطان محمود الغزنوى وابنه السلطان مسعود وقد حال صغر سن البيهقى دون إرتقائه إلى رياسة ديوان الرسائل بعد وفاة أستاذه . فلبث فى منصبه متعاونـًا مع أبى سهل الزورنى ولكن فى رعاية من السلطان مسعود والوزير أحمد بن عبد الصمد .

ثم عرضنا للشروط الواجب توافرها فى نائب رئيس ديوان الرسائل وقد توافرت جميعها فى أبى الفضل البيهقى وعرضنا لصلات نائب رئيس الديوان البيهقى بالسلطان والوزيرين الميمندى وعبد الصمد ورئيسه أبى نصر شكان .

ثم ختمنا البحث بالاشارة إلى كتاب الديوان والشروط الواجب توافرها فيمن يختار لهذا المنصب ، وكان يراعى فيهم الثقة وسعة الثقافة وجودة الخط والقدرة على الإيجاز ويبدأ الكاتب بالعمل بالديوان ويطلق عليه لقب «تلميذ».

وكان الكتاب الناشئون يخدمون فى الديوان بدون أجر فى بداية أمرهم فلما تولى السلطان مسعود ، أمر بصرف مكافآت لهم ، كما أمر بصرف مرتبات العاملين فى الديوان بلغت سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م سبعين ألف درهم فى الشهر .

وكانت تسند إلى بعض كتاب ديوان الرسائل مهام أخرى غير الكتابه فقد كان أبو نصر مشكان صاحب ديوان الرسائل تحت رقابة إثنين من كتابه ،

فلما وثق السلطان به أمره السلطان باقصائها لأنها لا يليقان بديوان الرسائل . وأسند إليهم السلطان أعمالا أخرى .

ومن كتاب ديوان الرسائل طاهر والعراقى وأريارق ، وكان طاهر الكاتب لتقدمه يقوم بتدبير كافة مهام الأمور ، ولم يلبث أن فوض عمل البريد فيسيستان وهذا العمل من المهام الكبيرة التى كان يقوم بها الوزير «حسنك».

وكان أبو الحسن الكاتب العراقى قلما يجلس فى الديوان ، بل كان يقضى جل أوقاته فى الخدمة لدى السلطان ، ومع أنه كان يحمل لقب كاتب ، فقد كانت له حظوة تامة لدى السلطان . وقد فوضت إلى أبى الحسن العراقى كتابة قهستان .

أما « تِلك » الكاتب والمترجم الهندى فى ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود ، فكان حسن الخط من الكتابتين الهندية والفارسية ، وكان يقوم بعمله على خير وجه ، وقد قدم « تلك » خدمات جليلة للسلطان مسعود فقد أدخل فى طاعته جميع هنود « كتور» وبعض البيرونيين ، وذاع صيته حتى أنه أقام لنفسه سرادقًا صغيراً ومظلة وكانوا يدقون له الطبل أثناء سيره حسب الرسم عند عظماء الهنود وكانت له رايه مع الطبول إلى أن بلغ به الأمر أن كان يجلس بين الأعيان فى الخلوة وأثناء تدبير الأمور .

والله أسأل أن يوفقنى إلى مزيد من الجهد لإلقاء الضوء على مظاهر الحضارة الإسلامية فى دول المشرق الإسلامى .

وعلى الله قصد السبيل .

دكتور

بدر عبد الرحمن محمد

تمهيد

ظهور الغزنويين
حتى نهاية عصر السلطان مسعود الغزنوى

ارتبط ظهور الغزنويين بالضعف الذى إنتاب الدولة السامانية فى نهاية عهدها فقد كان السامانيون يعتمدون اعتماداً كبيراً على العناصر التركية التى يجلبونها من بلاد التركستان المناخمة لهم وتطلعت هذه العناصر إلى الاستقلال بالولايات الشرقية منذ أن استعان بهم السامانيون فى إدارة شئون دولتهم(١) .

وكان البتكين(٢) مملوكًا تركيًا . انخرط فى سلك الجيش السامانى(٣) ومازالت تتدرج(٤) به المناصب حتى أصبح كبير حجاب الأمير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ / ٩٥٤ - ٩٦١م) ومن ثم ارتفع شأنه وازداد نفوذه فى الدولة السامانية حتى تولى الإمارة على جيوش خراسان ، ولما توفى عبد الملك بن نوح ٣٥٠ هـ / ٩٦١م رأى الأمراء ضرورة استشارة البتكين فى

---

(١) بدر عبد الرحمن : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة ص ١٥٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩م.

(٢) البتكين : كلمة مركبة من الب بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى أو الشبيه .
فامبرى : تاريخ بخارى ص ١١٧ وفى المعجم فى اللغة الفارسية لمحمد موسى هنداوىبمعنى بطل أو رجل قوى وتكين شجاع أو قادر .

(٣) كان غلامًا لدى أحمد بن إسماعيل السامانى .
حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ١٤٠ ملحق بتاريخ بخارى .

(٤) البيهقى : تاريخ البيهقى ص ٩٨ ، دائرة المعارف الإسلامية جـ ٢ ص ٥٠٤ مادة : البتكين , Ali. M. A. Anew Histary of indo - Pakastam. p. 7 (Dacca 1970).

اختيار من يخلفه فى الإمارة فأرسلوا يستأذنوه فى تولية الأمير السديد منصور ابن عبد الملك ، ولما كان منصور هذا شابًا حدثًا لذلك رفض البتكين توليته واختار عمه (أى عم منصور) ولكن الأمراء ولوا منصوراً[١] وأدى ذلك إلى توتر العلاقات بين الأمير والجديد والبتكين ، وباءت محاولات البتكين تحسين علاقته مع هذا الأمير بالفشل[٢] .

وبعد مضى سنت سنوات استدعى منصور البتكين إلى بلاطه فخش التبكين غدر الأمير السامانى وترك إمارة خراسان متجهًا مع أتباعه صوب غزنه[٣] . فعين الأمير منصور أبا الحسين بن سيمجور مكانه فى خراسان وأرسله لمقاتلة البتكين الذى تمكن من هزيمته وواصل سيره إلى غزنة واستولى عليها من حاكمها السامانى (أبو بكر لويك)[٤] وغزا زابلستان وأقام إمارة مستقلة عن السامانيين عاصمتها غزنة[٥] .

اتجه الأمير منصور إلى مصالحة البتكين[٦] والاعتراف به حاكمًا لغزنة وولى ابنه أبا اسحق إبراهيم[٧] قيادة جيوش خراسان فتفرغ البتكين لإدارة أمور غزنة ولم يلبث أن توفى البتكين سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م وكان ابنه أبوأسحاق

---

(١) النرشخى :تاريخ بخارى ص ١٤٣

(٢) فامبرى : تاريخ بخارى ص ١١٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٨ ص ١٩٢ ، منتخب التواريخ : تصنيف عبد القادر ابن ملوك شاه بدوانى ص ٨ (كلكتة ١٨٦٨م) .

(٤) الملقب بالصاحب أو « بادشاه » دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٣٩١ مادة أفغانستان .

(٥) حمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ١٤٣ ملحق بتاريخ بخارى .

(٦) مسكويه : تجارب الأمم جـ٦ ص ١٩١ ، ص ١٩٢ .

(٧) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة جـ٢ ص ٤١٦ .

فى بخارى فاستأذن أبو اسحاق الأمير منصور فى العودة إلى عزنة حيث لـه الحكم فيها سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م(١) .

ولما توفى أبو أسحاق بن البتكين فى ذى الحجة سنة ٣٥٥هـ / ديسـمبر ٩٦٦م خلفه بلكاتكين(٢) واجتمعت الكلمـة علـى اختيـاره ثـم أجمـع القـادة بعـد وفاته على تولية « بيرى » أحد غلمان البتكين وقد تعرضت البلاد فـى عهـده لخطر داهم تمثل فى تحالف ابن حاكم غزنة السابق « ابن آنوك » مـع بعـض القوى المجاورة فى المنطقة وفاجأ غزنة فـى جيـش كبـير ، فـاضطرب أهلهـا ولكـن سـبكتكين تمكـن مـن إنقـاذ الموقـف وتصـدى لهـذا الجيـش فاسـتقر راى الجميع على توليته مكان يبرى(٣) .

عمد سبكتين بعد أن ولى إمارة غزنة على توسيع ملكـه فاسـتولى علـى مدينة بست(٤) ، كما اضطـر حـاكم قصـدار إلـى أداء الجزيـة وإقامـة الخطبـة باسمه على المنابر. ومع أن سبكتين يعتـبر مـن الناحيـة العمليـة مسـتقلا عـن السامانيين إلا أنه اعترف لهم بالسيادة وفتح البلاد باسمهم(٥) ففى سنة ٣٨٤ هـ اسـتعان نـوح بـن منصـور السـامانى (٣٦٦ - ٣٨٧هــ/ ٩٧٦ - ٩٩٧م) بسبكتكين لمحاربة أبى علـى بن سيمجور وفـائق الخاصـة اللذيـن شـقا عصـا الطاعة فـى خراسـان ، واسند نـوح ولايـة خراسـان لسـبكتكين وابنـه محمـود

---

(١) أحمد دده المولوى : جامع الدول ، جـ١ (مخطوط بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٩٥) .

(٢) نظام الملك : سياست نامه هامش ص ١٥٣ وكان لاسـحاق مملوكـان همـا : بلكـاتكين وسبكتكين زامباور : معجم جـ٢ ص ٤١٦

(٣) العتبى : تاريخ اليمينى جـ١ ص ٥٧ .

(٤) العتبى : نفسه ص ٦٤ ، ص ٦٧ ، أبى الفدا : المختصر فـى أخبـار البشـر جـ٢ ص ١٢٣ خواندمير : حبيب السير فى أخبار البشر ص ١٨ بومباى ١٨٥٧م .

(5) Lane poole : Muhammadan Dnasties. p. 286.

وانتهت الحرب بانتصار سبكتكين وتمكن من الاستيلاء على نيسابور(١) ومنحه نوح لقب «ناصر الدولة» وولى ابنه محمود قيادة الجيوش فى خراسان ومنحه لقب «سيف الدولة»(٢) .

توفى سبكتكين فى شعبان عام ٣٨٧ هـ / أغسطس - سبتمبر ٩٩٧ م وكان قد أوصى قبل وفاته لابنه إسماعيل(٣) بالملك بعده(٤) مما ترتب عليه وقوع الفتن والاضطرابات السياسية بالدولة الغزنوية(٥) .

لم يلبث محمود الغزنوى أن تمكن من بسط سيطرته على أمور الدولة الغزنوية عندما تمكن بمساعدة أخوه نصر وعمه « بغراجق » من هزيمة إسماعيل الذى كان معتصمًا بقلعة غزنة فطلب منه النزول فلما نزل أحسن إليه وأكرمه(٦).

وعلى الرغم مما حدث من سبكتكين تجاه ابنه محمود من عدوله عن اختياره وليا للعهد ودخوله فى صراع مع أخيه إسماعيل إلا أننا نجد السلطان

---

(١) العتبى : جـ١ ص ١٨٤ ، ابن الأثير : جـ٩ ص ٣٨ .
، ميرخواند : روضة الصفا ص١ .

(٢) العتبى : جـ١ ص ١٧-١٩٣ ، البيهقى : ص ٢١٥ ، حمد الله المستوفى : ص١٤٦.

(٣) كان إسماعيل أخو محمود من أبيه إذا أن أمه كانت ابنة البتكين أما محمود فقد انجبه أبوه من زوجته ابنة رئيس زاولستان ولهذا القب محمود بالزاولى .
نظام الملك : سياست نامه ص ١٥٤، حمد الله المستوفى: تاريخ كزيدة ص ٣٩١ فارس.

(٤) ابن الأثير : جـ٩ ص ٤٩ ، تاريخ أبى الفدا جـ٢ ص١٤٠ .

(٥) الحسينى القزوينى : لب التواريخ ص ٨٧ .
Nazim (M) : The Time and life of Mahmoud of Ghazna p. 39 (Cambridg 1931).
، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ٨٢ .

(٦) انظر : منتخب التواريخ لبداونى ص ٩ بدر عبد الرحمن : الحياة السياسية ص ١٦٠.

محمود الغزنوى يعهد بولاية عهده إلى ابنه محمد بدلاً من ابنه مسعود الذى كان قد ولاه عهده سنة ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ - ١٠١٦م ثم ولاه هراة وفى سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠ - ١٠٢١م عهد إليه بمحاربة الغور ، فأبلى بلاء حسنا وأخضع الجزء الشمالى من هذه البلاد ، لكن أباه غضب عليه وسجنه فى المولتان (فى بلاد الهند) ثم عفا عنه وقلده ولاية هراة ثانية ، ولما فتحت بلاد الرى سنة ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩م وزالت عنها سيادة البويهين من أبناء ركن الدولة وليها مسعود الذى ضم همذان وأصبهان وأزال سلطان البويهيين عنها ، فكان له فضل كبير وأثر ملموس فى ازدياد الرقعة التى تحكمها الدولة[١] .

وكان مسعود يشعر منذ صباه بانه أفضل من أخيه محمد وأكثر حظوة عند أبيه وأنه كان يعده إعدادًا خاصًا ليكون سلطانًا على هذا الملك الواسع ، وبدأت الشيخوخة تدب فى جسد محمود وبدأ يحس بانه ابنه مسعود يزداد مكانة بفضل ما يبديه من الشجاعة والجرأة فى غزواته ، وأخذ عملاء السوء يبذرون بذور الفتنة بين الوالد وابنه ، فأخذ محمود يتتبع عثرات مسعود ويبعث إليه الجواسيس والعيون ليعرف هذه السقطات ويلومه عليها عسى أن تكون سببًا فى أن يعلن غضبه عليه ويعزله عن ولاية العهد . إلا أن مسعودًا استطاع أن يخدع جواسيس أبيه وأن يقروا لديه ببراءته من الاتهامات الموجهة إليه فكف عن البحث فى هذا الأمر[٢] . ولكن محمودًا رغب عن ولده مسعود فى آخر حياته وأساء الظن به حتى ليقول مسعود فى هذا الصدد « ولم تكن هذه الظاهرة خاصة به وحده، بل هى تظهر عادة فى أواخر أيام الملوك بالنسبة إلى ولاة العهد ليقينهم أن هؤلاء سيحلون محلهم»[٣].

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص ١٧٨ . بدر عبد الرحمن رسوم ص ٨٣ وانظر ايضًا تاريخ البيهقى : مقدمة المعرب ص ٢٢ .

(٢) البيهقى ص ١٢٦ وما بعدها .

(٣) البيهقى ص٨٠ .

وإزاء اتجاه السلطان محمود بأن يعهد بولاية عهده إلى ابنه محمد بدلاً من مسعود أراد أن يقوى مركزه وموقفه بأن يعقد له على ابنة قدر خان حاكم سمرقند وكاشغر وفى مقابل ذلك تخطب إحدى بنات السلطان محمود وتدعى الحرة زينب لبغراخان بن قدر خان(١) وبذلك يضمن قوة سياسية موازرة لمحمود كقوة قدرخان مما يؤدى إلى التكافؤيين ولديه وخاصة أن مسعودًا كان له أنصاره فى الولايات الفارسية التى تولى أمورها الإدارية أو العسكرية لفترة فى عهد أبيه(٢) .

شاركت أخت السلطان محمود الأمير الختلية فى مشكلة ولاية العهد . فعندما حدثت الوقيعة بين السلطان محمود وابنه مسعود انحازت هذه الأميرة إلى ابن أخيها مسعود ولكن بطريقة سرية ، ومن ثم كانت عينها على أخيها لصالح ابنه ، فلما توفى محمود سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠ م وتولى من بعده ابنه محمد الذى كان من وجهة نظر هذه الأميرة لا يليق بالسلطنة ، خشيت على ضياع الحكم من أسرتها الغزنوية ، فسارعت بمراسلة ابن أخيها مسعود - الذى كان يحارب القوى المتسلطة من بويهيين وغيرهم فى بلاد الفرس - ومن خلال الرسالة التى بعثت بها هذه الأميرة الغزنوية يتضح لنا ما كانت عليه من دراية تامة بشئون الدولة السياسية، وقد برهنت هذه السيدة على وعيها السياسى عندما أكدت لابن أخيها خطورة الفساد الداخلى ولا يعنيها آنذاك تلك الانتصارات الخارجية فقد ورد فى رسالتها... يجب أن تعلم أن غزنة هى الأصل ، ومن ثم خراسان وبقية البلاد»(٣).

---

(١) البيهقى ص ٢١١ ، ٢٢٣ .

(2) Bosworth : The imperial polcy p. 55.

(٣) البيهقى ص ١٢ ، ١٣ وقد بلغت عمة السلطان مسعود الختلية من النفوذ السياسى درجة كبيرة حتى أنها هى التى تولت بنفسها الإشراف على رسوم موكب السلطان عند قدومه إلى غزنة . البيهقى ص ٢٨٠ .

ولم تفلح زوجة السلطان محمود فى إصلاح ما بين زوجها وابنها مسعود فرأت أن تلتزم الصمت ولكنها كانت تميل إلى مسعود وتساعده بطريقة خفية مثل عمته الختلية وقد اتضح ذلك من خلال ما رأيناه من هذه السيدة بعد وفاة زوجها السلطان محمود حيث ظهرت من جديد على الساحة السياسية وبدأت تشارك أنصار ابنها مسعود فى غزنة العمل السياسى والدعائى لصالح الابن ، فلما أتت هذه السياسية أكلها وانقلب قادة غزنة وكبار رجال الدولة على السلطان محمد وأعلنوا تأييدهم لمسعود[١] سارت السيدة والدة مسعود ومعها حرائر قصرها وذهبن جميعًا إلى قصر الاسفرائينى » الذى كان مقرا لإقامة الأمير مسعود فى عهد أبيه وراحت هذه السيدة تتقبل التهانى من المهنئين وتتابع أمور الدولة السياسية والداخلية نيابة عن ابنها السلطان الغائب مسعود[٢] .

ومما يرويه البيهقى[٣] عن جلوس السلطان مسعود يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٢٢هـ/ ٦ مايو ١٠٣١ م فى قاعة العرش للاستقبال بعد أن أذن بذلك فأخذ أهل المدينة يفدون لزيارته أفواجا ، ونثر الموالى والحشم والجنود والأهلون أموالاً طائلة ترحيبًا بملك عظيم يتربع على دست الملك فى ذلك اليوم، وانشدا الشعراء أشعارًا كثيرة امتلأت بها الدواوين.

---

(١) كان مسعود قد كتب إلى أخيه محمد يطلب إقراره . على البلاد التى كان قد فتحها وهى بعض بلاد طيرستان والجبل واصفهان ووعد بتقديم اسم أخيه فى الخطبة على اسمه ولكن محمدًا لم يجب أخاه إلى طلبه وانضم بعض جنده إلى مسعود لكبر سنه وشجاعته وقوة بأسه وثار البعض عليه وقبضوا عليه وسملوا عينية لانشغاله بالشرب واللعب عن تدبير المملكة والنظر فى أحوال الجند والرعية وهتفوا بأخيه سلطانا عليهم وذلك فى شهر ذى القعدة سنة ٤٢١هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٠٣٠ . ابن الأثير : جـ٩ ص ١٥٠ ، حسن إبراهيم حسن : جـ٣ ص ١٧٧ .

(٢) البيهقى : ص ٦ .

(٣) البيهقى : ص ٢٧٩ - ص٢٨٠ .

اتسمت الإدارة الغزنوية طوال عهد السلطان محمود بالمركزية ، فكان يرجع إليه فى تصريف كل صغيرة وكبيرة من شئون الدولة ويبلغ بما يحدث فى أرجائها وما يجد ، وهو الذى يولى وهو الذى يعزل فى الإمارة والقيادة والإدارة ، كما كان بباشر المعارك الحربية ، ويقود حملات الغزو والتأديب بنفسه، على الرغم من توفر بعض القادة المحنكين له ، ولعل مرجع ذلك ميله إلى الانفراد بالسلطة دون غيره ، كما كان أيضًا يفصل فى المنازعات التى تبلغه ، غير عابىء بمشورة أحد ويشرف على ولاة الولايات ويحاسبهم محاسبة دقيقة([1]).

أما السلطان مسعود ، فقد جمع بين المركزية واللامركزية فى إدارته ، ذلك أنه كان يجيز لولاة الولايات التصرف فى شئون الولاية ، من جباية الأموال وتعيين العمال وخلعهم وفض المنازعات ورعاية المصالح العامة ولم ينفرد إلا بقيادة الجند ، إذ كان يشرف إشرافًا مباشرًا على الجند وعلى تعينهم وقيادة الحملات الحربية([2]).

بلغت الدولة الغزنوية أقصى اتساعها فى عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود غير أن ظهور السلاجقة([3]) . كان له نتائج بعيدة الأثر فى

---

(١) بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ٥٩ .

(٢) البيهقى : ص ٥١٥ .

(٣) السلاجقة : نوع من قبائل الغز الأتراك وقد أخذت هذه القبائل تفارق موطنها الأصلى فى سهول التركستان على شكل موجات خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) واستقروا أول أمرهم فى بلاد ما وراء النهر ، وقد عرف السلاجقة بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بين تقاق الحسينى : أخبار الدولة السلجوقة ص ٢ ، ٣ ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٢٦٧ ، الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ابن الأثير : جـ٩ ص ١٧٦ ، ١٧٨ حمدالله المستوفى : تاريخ كزيدة ص ٩١ ترجمة / محمود محروس قشطة بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا ص ١٠٠،١٠١ .

انحلال دولتهم فقد أثار السلاجقة مخاوف السلطان محمود الغزنوى([١]) خاصة بعد تحالفهم مع الأمير على تكين (أمير بلاد ما وراء النهر) ولما عقد الصلح بين السلطان محمود بن سبكتكين وبين الأمير القره خانى قدر خان سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ - ١٠٢٥ م حذره قدر خان من السلاجقة وتعاظم قوتهم . واحتمال قيامهم بالاستيلاء على بعض ولايات دولته([٢]).

كان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة واعتقاله الأمير السلجوقى إسرائيل ومن معه من القواد([٣]) والفرسان أسوأ الأثر فى نفوس السلاجقة الذين عزموا على الثأر من الغزنويين فاختاروا لقيادتهم ميكائيل بين سلجوق الذى نجح فى نقل السلاجقة إلى اقليم خراسان([٤]) وتوطيد نفوذهم فى هذا الأقليم بتدعيم قواتهم وتسليمها ، كما أخذوا يبسطون نفوذهم على الأطراف

---

(١) تزايدت قوات السلاجقة خاصة بعد أن امتلكوا جيشًا كامل العدد والعدة واشتبكوا فى معارك عدة ضد الأتراك الشرقيين (القره خانيين) .
كان التصر فيها حليف السلاجقة . ابن الأثير جـ٩ ص ١٧٦ ، ١٧٨ .

(٢) البيهقى ص ٢٢٧ .
، بدر عبد الرحمن : رحلات أبو منصور الثعالبى ص ٢٦ . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢م.

(٣) استجاب محمود الغزنوى لتحذير قدرخان وأراد أن يتبين بنفسه مدى قوة السلاجقة فأرسل إليهم رسالة طلب فيها لقاء وفد منهم فقدم إليه إسرائيل على رأس جيش كبير وتقابل إسرائيل ومن معه من القادة بمحمود الغزنوى وعرف منه مقدار قوة الجند السلجوقى وجيشهم الذى بلغ مقداره ثلاثمائة وخمسون ألف فارس فتأكدت مخاوف محمود الغزنوى فأمر بالقبض على إسرائيل وولده قتلمش وبقية من معه من الفرسان حيث اعتقلهم فى قلعة كالنجر بالهند . الراوندى : راحة الصدور ص ١٤٧ ص١٥١ .
بدر : الثعالب

(٤) البندارى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٥ .
، عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ص ٢٥ .

المجاورة ويتحينون الفرص للقضاء على الغزنويين فى خراسان وما وراء النهر(١) .

أدت سياسة السلاجقة التوسعية إلى تذمر أهل « نسا » وباورد وفراوة الذين استغاثوا بالسلطان محمود سنة ٤١٨هـ/ ١١٢٧م فسار إليهم السلطان بنفسه حيث التقى بالسلاجقة عند رباط فراوة حيث دارت معركة كبيرة انتصر فيها الجيش الغزنوى انتصارا ساحقًا(٢) .

على أن السلاجقة بقيادة جغرى بك داود أبو سليمان وطغرلبك أبو طالب ولدى ميكائيل بن سلجوق استطاعا جمع الشمل وتوحيد الصفوف وإعداد جيش قوى وقد اتيحت لهم الفرصة لتحقيق أطماعهم عند وفاة السلطان محمود، فأخذوا يعملون على توسيع رقعة أراضيهم وبسط نفوذهم على المناطق المجاورة حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعا لنفوذ السلاجقة(٣).

وفى سنة ٤٢٦ هـ/ ١٠٣٤ - ١٠٣٥م انتصر السلاجقة على السلطان مسعود الذى عقد معهم صلحا اعترف فيه بسيادتهم على نسا وفراوة ودهستان(٤) وترتب على هذا الصلح توطيد نفوذ السلاجقة واتساع أراضيهم وأشتد بأسهم وازدادت قوتهم .

---

(١) بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنو يين ص ٢٩ .

(٢) الكرديزى : زين الأخبار (فارسى) ص ١٩ تحقيق / عبد الحى حبيبى منشورات إيران .

(٣) الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٤ ، زين الأخبار ص ١٩٢ ، ١٩٤ .
، حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص ٤٩ بغداد ١٩٦٥م .

(٤) البيهقى ص٢٥٨ ، الرواندى : ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

وبدلاً من أن يوجه السلطان مسعود جهوده لمواجهة النفوذ المتزايد للسلاجة وتهديدهم لسلطان الغزنويين نجده يتجه إلى الهند لافتتاح قلعة هانسى[١] سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م ويتبين مما يرويه البيهقى فى هذه الخصوص مدى استبداد هذا السلطان برأيه فقد بين له كبار رجال الدولة أنه من الأفضل له السير إلى خراسان لاستعادتها حيث خطر السلاجقة والخارجين على الدولة ، وأن فتح قلعة هانسى يمكن أن يتم بيد أحد حجابه أو قادته ، إلا أنه مع ذلك قرر الذهاب إلى هانسى وفاء لنذره ولم يصغ لنصائحهم حتى أن الوزير وصحبه قالوا : « إن هذا السلطان مستبد استبدادا يفوق الوصف »[٢] .

عمل السلطان مسعود بعد عودته من الهند بعد فتح قلعة « هانسى »[٣] على مواجهة تهديد السلاجقة لسلطانه ، فالتقى بهم فى آخر شعبان سنة ٤٢٩ هـ/ الثلاثاء ٦ يونيو ١٠٢٨م عند سرخس حيث دارت معركة كبيرة انتهت بانتصار السلاجقة[٤] .

كان لهذا النصر الذى أحرزه السلاجقة أثره الكبير فى قيام دولتهم فسار طغرلبك إلى نيسابور ودخلها ، وجلس على عرش السلطان مسعود فى نفس السنة (٤٢٩هـ) باسم السلطان طغرلبك وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر نيسابور[٥].

---

(١) وفاء لنذر كان قد قطعة على نفسه .

(٢) البيهقى : ص ٥٧٥ ، ٥٧٧ .

(٣) البيهقى : ص٥٨٠ . بدر رسوم ص ٢٧ .

(٤) البيهقى : ص٥٧٩ ، ٥٩٣ ، الراوندى : راحة الصدور ص ١٥٨ .
، ابن الأثير : جـ٩ ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٥) البيهقى ص ٦٠٠ ، ٦٠٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤٤٠ .

لما بدا للسلطان مسعود ما أحرزه طغرلبك من نصر عزم على محاربة السلاجقة فأعد جيشًا ضخمًا سار به نحو خراسان فى شتاء ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م وفى الربيع تحرك نحو باورد ومنها إلى سرخس ومن هناك اتجه إلى داندانقان(١) حيث دارت الحرب بين الطرفين فحلت الهزيمة بجندا الغزنويين فى رمضان فى سنة ٤٣١ هـ/ مايو ١٠٤٠م(٢) .

كان لهزيمة داندانقان أثرها السيئ فى نفس السلطان مسعود حتى أنه عزم على الانسحاب إلى بلاد الهند(٣) ليجمع من هناك جيشًا قويًا يستعين به على قتال السلاجقة ، واصطحب معه أخاه محمدًا (مسمولاً) وحمل معه الخزائن، فلما عبر نهر سيحون هاجم الجند الموالين لأخيه محمد تلك الخزائن ونهبوها وعزلوا السلطان مسعود وولوا أخاه محمدًا مكانه ، وقد تمكن من القبض على أخيه مسعود بعد أن تمكن من هزيمته واعتقله فى قلعة كيرى(٤).

لم يلبث الأمير محمد أن فوض أمر دولته إلى ولده أحمد ، الذى احتال فى قتل عمه مسعود ، فغضب مودور ابن مسعود لمقتل أبيه وتمكن من هزيمة عمه محمد سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٤١ م والقضاء على أتباعه وتولى أمور غزنته(٥).

---

(١) داندانقان : تقع بين سرخس ومرو ياقوت الحموى:معجم البلدان جـ٢ ص ٦١٠ .

(٢) البيهقى : ٦٨٠ ، الراوندى : ص ١٦٣ ، الكرديزى : ص ٢٠٣ .

(٣) اتجه الغزنويون إلى فتوح الهند منذ عهد السلطان محمود الغزنوى بعد أن مدوا نفوذهم فى الولايات الشرقية ، وصار تقليدًا عند السلطان محمود وابنه مسعود من بعده الخروج للجهاد فى الهند ونشر الإسلام فيها .
عن هذه الفتوح راجع لنفس المؤلف:رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية ص ٢٢ ص ٢٨.

(٤) البيهقى ص ٧٢٦ ، الكرديزى : ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ابن الأثير : جـ٢ ، ص ١٨١ .

(٥) الكرديزى ص ٢٠٥ ، ابن الأثير : جـ٩ ص ٢٠٨ .

عرض لكتاب

« قانون ديوان الرسائل »

لابن منجب الصيرفى

عندما نعرض لديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود الغزنوى (٤٢١ - ٤٣٢ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٤٠م) لا يفوتنا الإشارة إلىكتاب « قانون ديوان الرسائل » الذى ألفه تاج الرياسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب ابن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى (٤٦٣ - ٥٤٢هـ/ ١٠٧١ - ١١٤٧م) رئيس ديوان الانشاء الفاطمى فى عهدى الخليفة الآمر بأحكام الله والخليفة الحافظ لدين الله الفاطميين . وترجع أهمية هذا المؤلف إلى أنه عاش فى بلاط الخلفاء وكتب أغلب السجلات التى وصلت إلينا وصدرت فى العقود الأولى للقرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .

وقد ألف ابن منجب الصيرفى « قانون ديوان الرسائل »(١) فى النصف الثانى للدولة الفاطمية ، اهتم فيه بذكر الشروط التى يجب أن تتوفر فى موظفى هذا الديوان وتوضيح تنظيمه الداخلى . يقول : « وبينت الأمر فيه على ما يقتضيه حكم البلاد المصرية المتعارف فيها الآن دون غيره من الأوقات »(٢) .

ولعل هذا مما يميز « قانون » ابن الصيرفى فالكتب المؤلفة عن ديوان الإنشاء تحوى فى أغلبها مجاميع مبسطة لنماذج الكتابة الديوانية أو بمعنى أدق صيغ لا نجد فيها مواد عن تاريخ ديوان الانشاء إلا عند قراءته وبالمقابل

---

(١) تحقيق على بهجت

وإن ذكره الدكتور / أيمن فؤاد سيد بعنوان « القانون فى ديوان الرسائل » طبعة الدار المصرية اللبنانية .

(٢) الصفحة الرابعة من مقدمة المحقق د. إيمن فؤاد سيد .

فإن الكتب الفنية التى قصد مؤلفوها مباشرة عرض وظيفة كاتب الانشاء الرسمية أو سائر كتاب الدواوين ونظمها قليلة جدًا أهمها كتاب ابن الصيرفى، و« لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية » للنابلسى و « قوانين الدواوين » للاسعد بن مماتى .

ورغم أن القلقشندى والمقريزى والسيوطى قد نقلوا الكثير من السجلات والمناشير معزوا إلى ابن الصيرفى ، فإن القلقشندى لم يتعرف مباشرة على كتاب «القانون فى ديوان الرسائل» وإنما أثبت ما أقتبسه منه وهو كثير ، من «تذكرة» أبى الفضل الصورى الذى يبدو أنه نقل « قانون » ابن الصيرفى فى مقدمة تذكرته دون الإشارة إليه ، وقد نقل القلقشندى كذلك بعض السجلات التى أنشأها ابن الصيرفى ونسبها إلى أبى الفضل الصورى[١] .

وكان الشائع أن ابن الصيرفى ألف كتابه للوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى[٢] ولكن من دراسة ألقاب الوزير الذى أهدى له ابن الصيرفى الكتاب تثبت أنه الوزير أبو على الأفضل المعروف بكتيفات ، الذى قاد انقلابا تولى فى أعقابه السلطة فى الفترة بين ذى القعدة سنة ٥٢٤هـ والمحرم سنة ٥٢٦ هـ[٣] .

---

(١) يذكر الدكتور ايمن فؤاد سيد فى تحقيقه لكتاب القانون فى ديوان الرسائل « بهذا الخصوص أنه رغم مراجعته للعديد من المصادر ، فإنه لم يستطيع التعرف على شخصية ابى الفضل الصورى هذا فلم يتمكن من معرفة اسمه كاملاً ولا فى أى قرن عاش ، كما أن حاجي خليفة وبروكلمان لم يشيرا إلى « تذكرته » التى يبدو أنها من نوع « تذكرة » الصلاح الصفدى ، وجمع فيها نصوصًا كاملة متفرقة فى موضوع الكتابة الديوانية . انظر مقدمة المحقق ص٤ ، ص٥ .

(٢) على بهجت : قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفى ٩٠ هـ١ .

(٣) أيمن فؤاد : القانون فى ديوان الرسائل المقدمة ص ٥ .

ووفقًا لما جاء فى مقدمة كتاب ابن الصيرفى فإنه اراد بكتابه أن يكون قانونًا يسترشد به العاملون بهذا الديوان . وإذا كان المستخدمون قد التزموا بالفعل بهذه القواعد ، فإن كتاب ابن الصيرفى قد ترك كثير من المسائل الهامة دون إجابة ، فنحن لا نعرف بدقة كيف كان التنظيم الداخلى للديوان ، ولا على أى نموذج صاغ ابن الصيرفى مقترحاته ؟ وهل أعدها بنفسه أو قلد فيها ديوان بغداد أو حتى بيزنطة ؟ فقد لاحظ بعض الباحثين وجود تشابه بين هذه القواعد وما كان متبعًا فى بيزنطة ، وإذا كان ذلك صحيحًا فإننا لا ندرى كيف وصل علمها إلى ابن الصيرفى(١) .

والوظائف التى أشار إليها ابن الصيرفى هى :

- رئيس الديوان ويقال له متولى الديوان أو صاحب الديوان وكان يخاطب «بالأجل» ويلقب « بكاتب الدست الشريف » .
- كاتب ينوب عن رئيس الديوان فى تلخيص ما يرد من الكتب ليسهل عرضها من غير إخلال بها .
- كاتب ينشئ ما يكتب من المكاتبات ، هو أجل المستخدمين فى الديوان .
- كاتب يتولى المكاتبة عن الملك إلى الملوك المماثلين ، وهو أعظم منزلة من كاتب الانشاء وأعلى درجة .
- كاتب يكتب مكاتبات رجال الدولة وكبرائها من الولاة والأجناد والقضاة والكتاب والمشارفين وانشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار .
- كاتب يكتب المناشير ونحوها مما لا يختم ، والكتب اللطاف والنسخ وهو أكثر عمل الديوان ، يعاونه آخر يكون دونه فى المنزلة .

---

(1) Bjorkman. W, EI , art. Diplomatique II. p. 313.

، أيمن فؤاد : المقدمة ص ٧ .

- كاتب مبيض برسم الانشاءات والسجلات والتقليدات ومكاتبات الملوك .
- ناسخ يتولى نسخ الكتب الموجهة للملوك أو المناشير لتسلم للخازن .
- كاتب متصفح جميع الانشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر فيه يكون على منزلة عالية من اللغة والنحو وحفظ كتاب الله .
- وقد ذكر ابن ميسر أن أبا الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى كان له على الخزانة بمصر فى الشهر ثلاثون دينارًا وغلة على إصلاح ما يخرج من ديوان الانشاء، وكان لا يخرج منه شئ إلا بعد ان يقف عليه ويصلحه(١) .
- كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المتضمنة متعلقات الديوان .
- مترجم لنقل الكتب من اللسان الأجنبى إلى اللسان العربى والعكس .
- كاتب يتولى التوقيع عن الملك . ويضاف إليهم وظيفتين من غير وظائف الكتاب هما :
- الخازن الذى يتولى خزن نسخ السجلات والمناشير والتقاليد ، كل عنوان مع شبهه وكذلك الكتب الواردة بعد الإجابة عليها مثبتا تاريخ ورودها وتاريخ الإجابة عليها .
- الحاجب الذى لا يمكن أحدا من الدخول على صاحب الديوان فيما عدا المستخدمين لعدم الإطلاع على أسرار السلطان الخفية .

أما أنواع التذاكر والدفاتر التى كانت تتضمن متعلقات الديوان حتى يسهل الرجوع إليها فكانت تشمل :

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ص ٤٥ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا جـ٢ ص ٣١٨ ، أيمن فؤاد ص ٩ من المقدمة .

- دفتر بألقاب الولاة والمستخدمين والملوك الأباعد والمكاتبين يجعل لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليها ولقبه ودعاؤه ومتى صرف.
- دفتر للحوادث العظيمة .
- تبيان التشريفات والخلع .
- فهرس الكتب الواردة .
- فهرس الكتب الصادرة .
- موضح بها تاريخ ورود الكتاب أو صدوره ومضمونه .
- فهرست للانشاءات والتقليدات والأمانات والمناشير .
- مهمات الأمور التى ربما يسأل عنها أو يرجع إليها لتكون موجودة متى احتيج إليها .
- مهمات ما تخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تُغفل ولا يُجاب عنها.

قانون ديوان الرسائل لابن منجب الصيرفى :

حظى كتاب ابن منجب الصيرفى « قانون ديوان الرسائل » باهتمام اثنين من المحققين المجيدين أولهما نشر وتعليق على بهجت وثانيهما الدكتور أيمن فؤاد سيد . خاصة أن مؤلف الكتاب عاش العصر الذى كتب فيه كتابه المذكور وهو عصر الدولة الفاطمية .

ويشير ابن منجب فى كتابه « قانون ديوان الرسائل »[1] ، إلى الصفات الواجب توافرها فى متولى ديوان الرسائل أن يكون ذا دين وورع وأمانة ونزاهة نفس تصرفه عن الشهوات ، وأن يكون دينه الإسلام لأنه من الملك

---

(١) ابن منجب الصيرفى : قانون ديوان الرسائل نشر وتعليق / على بهجت مطبعة الواعظ مصر ١٩٠٥ م الطبعة الأولى .

ونشره الدكتور / أيمن فؤاد سيد تحت عنوان « القانون فى ديوان الرسائل » بتحقيق ومقدمة وافيه للدار المصرية اللبنانية .

بمنزلة الوزير ، والوزير مشتقة من الموازرة هى المساعدة والمعاونة والمظاهرة ولا يجب أن يتخذ لهذا الأمر من يخرج عن دين الإسلام[١] لقوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين }[٢] ، ويجب عليه أن لا يطلع على أسراره من يخالف شريعة الإسلام .

كذلك على صاحب الديوان أن يكون على المذهب الذى عليه الملك ليكون أنقى جيبًا وأنصح غيبًا ، فإن المسلمين وأن جمعتهم كلمة الإسلام فقد اختص كل واحد منهم بمذهب يباين به بعضهم بعضًا حتى حدث بذلك بينهم من التباعد والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشركين[٣] .

والحكمة من كون متولى الديوان على مذهب الملك (أو السلطان) ليكون مجتهدًا فى خدمته مبالغًا فى نصيحته الرأى عن صفونية لا يخالطه كدر[٤] .

ويجب أن يكون من يختار لهذه المرتبة ممكنا من عقله فإن العقل أس الفضائل وأصل المناقب ، ومن لا عقل له فلا انتفاع به ، فهو المستشار فى كبار الأمور والمشارك فى النظر فى سداد الثغور[٥] .

---

(١) ابن منجب : ص٩٤ تحقيق / على بهجت ، يشير القلقشندى صبح الأعشى جـ١ص٩٦ والسيوطى : حسن المحاضرة حـ٢ ص ٢٣٢ إلى تولى ديوان الانشاء الفاطمى جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم ما بين مسلم وذمى على عكس ما شرط ابن منجب ، أيمن فؤاد سيد ص٨ حاشية (١) .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥١ .

(٣) يقصد باختلاف المذاهب أهل السنة والشيعة .

(٤) ابن منجب : ص ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ . تحقيق / على بهجت .

(٥) ابن منجب : ص ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ . تحقيق / على بهجت .

ويجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأسنى منزلة وبحيث لا يوجد أحد فى عصره يفوقه فى هذا الفن فإنه لسان السلطان الذى ينطق به ويده التى بها يكتب ورب كاتب بليغ أصاب الغرض من كتابته فاغنى صاحبه عن الكتائب وأعمل القلم فكفاه أعمال البيض القواضب(١) .

وينبغى أن يكون مضطلعا بفنون الكتابة عالما بأصولها وفصولها مستقلاً بأعبائها يفوق فى النهضة جميع المستخدمين والمعينين له لأنه هو الأصل الذى هم فروعه والمقدم الذى تعرض عليه كتبهم وتأليفاتهم وإلى تصفحه ونقده ترجع انشاءاتهم وتصنيفاتهم فمن الواجب أن يكون اتم منهم دراية وأصح علمًا ورواية وأخبر بصائب المعانى ومستحسن الألفاظ(٢) .

ويجب أن يكون حافظًا لكتاب الله تعالى أو قيما بقراءته إذ قرأه ، ويكون حافظًا لأخبار الرسول والأئمة من ذريته ﷺ ، راويًا الأخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم وأخبار العجم وسائر الأمم ، وما جرى فى ايام الملوك الماضين وما حدث من وزرائهم وكتابهم وقوادهم وأخبارهم(٣) .

ويجب أن يكون حافظًا للأشعار راويًا للكثير منها يستشهد بما عساه يحسن الاستشهاد به ، فإن للمنظوم من البهجة فى النفس والوقع فى القلب ما ليس للمنثور وربما حل منه ما يحتاج إليه فأتى به منثورًا فى أثناء رسائله(٤).

ويجب أن يكون قد قرأ من العربية والتصريف واللغة أكثرها ، فإنه أحوج الناس إلى هذه العلوم فإن كان مبرزًا فيها قيما بها على الكمال فزيادة

---

(١) نفس المصدر : ص ٩٩ ، ص ١٠٢ .

(٢) نفس المصدر : ص ٩٩ ، ص ١٠٢ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ .

(٤) ابن منجب : قانون ديوان الرسائل ص ١٠ ، تحقيق على بهجت .

فى فضله وأن حصل له فيها أن يكون متكلمًا بألفاظ الفصحاء ولاحقًا برتبة البلغاء لا يخفى عنه شيء مما يجرى فى المكاتبات ويكثر فى المحاورات من غير أن يتبع حوشى الكلام(١) ووحشى الألفاظ وغريب اللغة ولا يعزب عنه شيء مما يعاينه ويلابسه ولا يتوجه عليه لحن فى الخط ولا فى الإعراب(٢).

ويجب أن يكون أصيلاً فى قومه ، رفيعًا فى حسبه ، صبيح الوجه ، فصيح الألفاظ طلق اللسان ، وقورًا حليمًا ، مؤثرًا للجد على الهزل . محبًا للشغل أكثر من محبته للفراغ ، مقسمًا للزمان على أشغاله ، يجعل لكل منها جزءًا منه حتى يستوعبه فى استيفاء أقسامها ، كثير الأناة والرفق ، قليل العجلة والخرق ، نزر الضحك، مهيب المجلس ، ساكن الظل ، وقور التأدى حسن اللقاء لطيف الإجابة . شديد الذكاء متوقد الفهم ، حسن الكلام ، حسن الإصغاء ، سريع الرضا بطئ الغضب رؤفا بأهل الدين ساعيًا فى مصالحهم محبًا لذوى العلم والأدب ، راغبا فى نفعهم ، ويغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه(٣) .

كذلك عليه أيضًا أن يهدى النصيحة للملك من غير فساد فى الرأى أو نقصان وايضاح الواجب فيه بتأن ولطف . ويكون من كتمان السر بالمنزلة التى لا يدانيه فيها أحد ولا يقاربه فيها بشر . وأن ينحل الملك صائب الآراء والصفات الحميدة وإذا قال الملك قولاً فى مجلسه أو بحضرة جماعة فلم يره موافقًا للصواب فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به فإن ذلك خطأ كبير، بل يصير إلى حين الخلوة ويداخل فى أثناء كلامه ما يوضح به نهج

---

(١) ابن منجب : نفس المصدر ص ١٠٣ وحوش الكلام أى الغامض فيه (الفيروز آبادى : القاموس المحيط ص ٧٦٢ - ٧٦٣ وانظر على بن خلف مواد البيان ص ٣٦٨ أيمن فؤاد سيد : ص ١١ .

(٢) ابن منجب : نفسه ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

الصواب من غير تلف يرد ولا تبجح بما عنده[١] . ويكون متابعًا للملك (السلطان) على أخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة ، وأن أحس من الملك بخلة (صفة) تنافى هذه الخلال ، نقلها عنه بألطف سعى وأحسن تدريج ولم يدع ممكنا فى تبين قبحها وايضاح رداءة عاقبتها وفضيلة مخالفتها إلا بينه وأوضحه إلى أن يعيده إلى الفضائل التى هى بالموك النبلاء أليق فإن الكاتب إذا اكمل جميع هذه الخلال استحق أن يكون كاتبًا لحضرة الملك الفاضل الكامل الدين الورع وأن يتولى ديوان رسائله وأن يوازره على أمور دولته فإن المنفعة به للملك تكون عظيمة[٢] .

يعرض ابن منجب لما يختص متولى ديوان الرسائل بالنظر فيه من الأعمال التى لا يقوم بها غيره . فيقول إن أول ما يجب على متولى هذا الديوان ملازمة مجلس الملك ما كان جالسًا ليتأسى به سائر المستخدمين معه ولا يجدوا رخصة فى الغيبة عن الديوان[٣] . وتأمل لكتب الواردة على الملك وتسليمها إلى أوثق كتابه وآمنهم فى نفسه ليخرجها فى ظاهرها[٤] ثم يعيدها

---

(١) ابن منجب : نفس المصدر ص ١٠٥ - ص ١٠٦ تحقيق / على بهجت .
يروى المحقق رواية بهذا الخصوص عن أن النضر بن شميل النحوى كبا بحضرة المأمون كبوة أوشك أن يفقد بسببها منزلته من الخليفة لولا أن تداركه بحسن اعتذار .. وقبل المأمون عذره لطيب عنصره وكريم نجاره ، وتحرير ذلك أن النضر كان عند المأمون يومًا فقال المأمون حدثنا هشيم عن مخالد عن الشعبى عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز » وفتح سين سداد فأعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد فاستوى المأمون جالسًا وقال : تلحننى يا نضر فقال أنما لحن هشيم وكان لحانة فتتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما قال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغه وكل ما سددت به شيئًا فهو سداد بكسر السين .

اضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأمر له المأمون بخمسين ألف درهم .

(٢) ابن منجب : نفسه ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٣) ابن منجب : نفس المصدر ص ١٠٨ .
، القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ص ١٠٥ .

(٤) أى ليلخصها فى ظاهر الورقة .

إليه فيقابل بها فإن وجده أخل بشيء منها أضافه بخطه وأنكر عليه إهماله ليتنبه فى المستأنف (فيما بعد) وإن لم يكن فيها خلل عرضها على الملك واستخرج فيها أمره ثم سلمها إلى من يكتب الجواب عنها ممن يعرف اضطلاعه بذلك ثم قابل الجواب بالتخريج وما وقع به تحته فإن وجد فيها خللاً سده أو مهملاً ذكره أو سهوا أصلحه عرضها على الملك ليعلم فيها[١] . ثم استدعى من يتولى الإلصاق فالصقها بحضرته وجعل على كل منها بطاقة يشير فيها إلى مضمونه لئلا يسأل عنه بعد إلصاقه فلا يعلم ما هو ثم يسلمها إلى من يتولى تنفيذها إلى حيث أهلت له ويأخذ خطه بعدتها منسوبًا كل منها من كتب إليه ومشار إلى مضمونه ويسلم النسخ المخرجة الملخصة إلى من يؤهله لحفظها وترتيبها[٢] .

ويلزمه ان يتصفح ما يكتب فى السجلات[٣] والمناشير[٤] والأمانات[٥] وجميع ما يقع عليه اسم الانشاء تصفحًا تامًا يأمن معه أن يدخل على شيء

---

(١) تشبه هذه الوظيفة وظيفة الدوادارية فى العهد المملوكى راجع ابن فضل الله العمرى. مسالك الإبصار فى ممالك الأمصار ص ٥٨ .
، إيمن فؤاد سيد ص ١٥ .

(٢) ابن منجب : نفسه ص ١٠٨ ، ١٠٩ على بهجت .

(٣) السجلات : جمع سجل وهى المكاتبات الصادرة من ديوان الرسائل باسم الخليفة أو السلطان وموجهة إلى أرباب الوظائف الكبار وملوك وأمراء الدول المجاورة . إيمن فؤاد ص ١٦ .

(٤) المناشير : جمع منشور والمنشور كل وثيقة أو مكتوب لا يحتاج إلى ختم أى منشورة غير مطوية وذكر على بن خلف فى « مواد البيان » ص ٥٠٥ - ٥٠٦ وابن الصيرفى أن المنشور هو ما لا عنوان له أيمن فؤاد : ص ١٦ .

(٥) الأمانات : نوعان : أمانات لأهل الكفر القلقشندى : صبح جـ١٣ ص ٣٢١ - ٣٢٨ ، وأمانات لأهل الإسلام واورد على بن خلف فى مواد البيان والمسبحى نسخًا صادرة عن الخليفة الحاكم بأمر الله وخليفة آخر ربما كان المستنصر وهى تستفتح « هذا أمان من فلان أمير المؤمنين « لشخص أو أهل طائفة » مواد البيان ص ٦٦٧ - ٦٦٨ نصوص من أخبار مصر ص٢١ ، القلقشندى صبح جـ١٣ ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .
، المقريزى خطط جـ٢ ص ٢٠ ، ٢١ .

مما يكتب فى ديوانه زيغ ولازلل ولا تحريف فإنه متى عرف المستخدمون معه تيقظه وتطلعه وبحثه عما يكتبونه احتفل كل واحد منهم بما يتولى كتابته. وجمع ذهنه له وفرق أن يزيد فيه زيادة يخفى مثلها على الممثل للأمور من زيادة فى الدعاء لمن لا يستحقها تبذل فى مثل الرشا أو إضافة أو حطيطة أو مسامحة فى منشور يذهب بها جملة من مال الملك من حيث لا يعلم لأن الملك لا يلزمه تصفح جميع ما يكتب عنه ولا يتسع زمانه لذلك ومتى انضاف إلى ذلك إهمال كاتبه الموثوق به للنظر فى دقائق الأمور المردودة إليه واتكل فيها على غيره ممن لا يقوم مقامه دخل الخلل على المملكة وصار أولئك هم الملوك على الحقيقة(١) .

ويلزم متولى هذا الديوان إشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها خطرًا أن يصدر جواب كل كتاب يصل إليه فى يومه ولا يؤخره . إلى غدو فإن هذا يقيم للملك هيبة كبيرة ويدل على تطلعه على الأمور وانتصابه للتدبير وقلة إهماله لأمور دولته وكثرة احتفاله باستقامة شئونها ويؤثر له فى نفس المكاتبين تأثيرًا كبيرًا ويستشعرون منه حذرًا وخيفة(٢) .

ويكتب إلى كل المستخدمين بما عساه يذكره عنه غيره منهم أو من غيرهم أو ما يأتى به رافع أو ينقله متحيز ويكشف منه ما يجب الكشف عنه ويمر ذكره صفحًا عليهم (كذا) ويحذروا فى كل وقت من أن يصل عنهم ما يخشى عليهم عاقبته أو ترد أى الأخبار كان من ناحيتهم قبل أن ينهوه فإنهم حينئذ لا يكادون يخفون صغيرة ولا كبيرة ولا يجترحون ذنبًا بينا وتجرى الأمور على أتم نظام وأوفى قضية(٣).

---

(١) ابن منجب : نفسه ص ١١٠ ، ١١١ .

(٢) نفسه ص ١١٢ .

(٣) ابن منجب : نفسه ص ١١٢ . على بهجت .

وينبغـي أن يـأخذ جميـع المسـتخدمين(١) فـي البـلاد بتـاريخ كتبهـم وتحذيرهم(٢) من ترك ذلك فإن فـي إهمالـه ضـررًا كثيرًا ، وإذا ورد الكتـاب خاليًا من التاريخ لم يعلم بعد العهد بما ذكر فيه أم هو قريب وهل فـات وقـت النظر فيما تضمنه أو هو ممكن وإذا كـان مؤرخًا عـرف ذلـك علـى الحقيقـة وزالت الشبهة فيه(٣) .

وعليه أيضًا أن يتأمل تواريخ الكتب الواصلة فإذا وصل كتـاب يقتضـي تاريخه منذ كتب والـى أن وصـل أكـثر مـن مسـافة الطريـق أنكـر ذلـك علـى متولى إيصاله فإن أقام الدليل على أنه ساعة وصل بادر باحضاره أنكـر علـى مرسله تأخيره إنكارًا يروع مثله عن ذلك(٤) .

ويجب إلا يكتب عن الملك إلا بما يقيم منار دولته ويعظمهـا ولا يخـرج عن حكم الشريعة وحدودها ولا يكتب ما يكون فيه عيب على المملكـة ولا ذم لها على غابر الأيام ومستأنف الأحقاب وإن أمر بشيء يخرج عن ذلك تلطـف فى المراجعة بسببه وتبين وجه الصواب فيه إلى أن يرجع به إلى الواجب(٥).

ويلزم متولى الديـوان أن يكـون معنـون للكتـب لأن علـى كتبـه العنـوان بخطه شهادة عليه أنه قد وقف على الكتاب ورضى بما كتـب فيـه . وقـد كـان الرسم جاريا بالعراق – وفيه الكتاب الأفاضل – أن يكتب الكتـاب مـا يكتبـون ويقولون فى آخره وكتب فلان ابن فلان ويذكرون اسم متولى ديوان الرسـائل. فاكتفى ها هنا بكون العنوان بخطه عن ذكر اسمه فى آخـر الكتـاب وأمامـا لا

(١) نفسه : ص ١١٢ على بهجت ويذكرها د. إيمن فؤاد سيد : أرباب الخدم ص ١٨ .
(٢) نفسه : ص ١١٢ على بهجت وعند د. إيمن : ويحذرهم ص ١٨ .
(٣) القلشندى : صبح جـ١ ص ١١١ – ١١٢ مع خلاف فى العبارة .
(٤) ابن منجب : نفسه ص ١١٣ ، تحقيق / على بهجت .
ويذكرها القلقشندى : صبح جـ١ ص ١١١ ، ١١٢ مع خلاف فى العبارة .
(٥) ابن منجب : ص١١٣ على بهجت .

عنوان له كالمناشير فمن الواجب أن يكون تاريخه بخطه ليقوم مقام العنوان مما يعنون من الشهادة عليه بارتضائه واحماده([1]) .

ويلزمه أن يكون فيه جميع ما يفوق به معينيه والمستخدمين معه ولا يلزم كل واحد منهم إلا ما يخصه فقط ويكون معذوقًا بالفن الذى يتولاه لأنه يجب أن يكون أكمل منهم ولذلك قدم عليهم وجعل إليه ارتيادهم واستخدامهم([2]) .

ويلزمه أن يكون بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة واليقظة والاستدلال بيسير القول على كثيره وببعض الشيء على جميعه ، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيحاء لا بل بالرمز والإيحاء لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويعرفه خواتم الأشياء من مفتتحاتها ، ويحذره حين تبدو له لوائح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل([3]) .

ويلزمه أن يقيم حاجب لديوانه لا يمكن أحدا من سائر الناس أن يدخل إليه ما خلا المستخدمين فيه فإنه مجمع أسرار السلطان الخفية([4]) فمن الواجب كتمها . ومتى أهمل ذلك لا يأمن أن يطلع منها ما يكون بإظهاره سبب سقوط وثيقة وإذا كثر الغاشون (الزوار) والداخلون إليه أمكن المستخدمين معه إظهار الأسرار اتكالاً على أنها تنسب إلى أولئك وإذا احتجب هو ومستخدموه احتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه لأنه لا ينسب إذا ظهر إلا إليهم([5]) .

---

(١) ابن منجب : نفسه ص ١٩ تحقيق / إيمن فؤاد سيد .
، القلقشندى : صبح جـ٦ ص١٩٨ .
(٢) ابن منجب : نفسه ص ١١٤ على بهجت .
(٣) نفسه ص ١١٤ على بهجت .
(٤) ابن منجب : نفسه ص١٦ أيمن فؤاد وعند على بهجت ص ١١٥ المخفية قارن القلقشندى: صبح جـ١ ص ١٠٢ عن ابن الطوير .
(٥) ابن منجب : نفسه ص ١١٥ ، ١١٦ .
، القلقشندى : صبح جـ١ ص١٣٦ ، ١٣٧ .

وفى فصل فيمن ينبغى أن يستخدم لتخريج الكتب الواردة فيذكر ابن منجب أن من الواجب إلا يقرأ الكتب الواردة إلى الملك إلا هو بنفسه ولما لم يكن ذلك ممكنا لكثرتها واتساع الدولة وكثرة المكاتبين من أصناف المستخدمين ووصول الكتب أيضًا من الأقطار النائية والممالك المتباعدة ومن المتميزين للملك والمتقربين إليه بالمكاتبة وضيق الزمان عن أن يتفرغ لذلك وجب تفويضه إلى متولى ديوان رسائله[1] الذى ينيب عنه مستخدم يتولى تلخيص ما يرد فى الكتب ليسهل على رئيس الديوان عرضها وفهمها من غير إخلال أو خيانة[2] .

ولابد لهذا الكاتب الذى يختاره رئيس ديوان الرسائل أن يكون مسلمًا ، دينا ، شديد الذكاء جيد الاستخراج لسائر الخطوط الغريبة مقاربها وصالحها مضطلعًا بتلخيص الألفاظ الكثيرة إلى ألفاظ مختصرة مضبوطة المعنى مسقطا منها الحشو الزائد والاستطراد مثل الدعاء والتصدير والألفاظ المرددة[3] . فطنا سالما من البله .

ويجب أن توكل هذه الخدمة إلى هذا الكاتب وحدها دون غيرها من اشغال الديوان ليتوفر عليها ولا ينشغل بغيرها حتى إذا ما أخطأ لم يجد له عذرًا. ويسلم الكتب الملخصة إلى متولى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها وأن وجد فيها ما ينكره عنفه عليه ما كان يسيرًا وأن تكرر منه ذلك صرفه واستبدله[4].

---

(١) ابن منجب : ص١١٦ على بهجت ، القلقشندى : صبح جـ١ ص ١١١ .

(٢) ابن منجب : ص ١١٦ على بهجت .

(٣) ابن منجب : ص ١١٦ ، ١١٧ على بهجت .

، القلقشندى : جـ٦ ص ٢١٣ .

(٤) بان منجب : نفسه ص ١١٧ على بهجت .

وفى فصل صفة من يجب أن يستخدم برسم الانشآت يذكر ابن منجب أن المسخدم فى هذه الخدمة يجب أن يتوافق فى الصفات مع رئيس الديوان فإن لم يقدر فلابد أن يكون مسلمًا لحاجته إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وإلى معرفة الحلال والحرام وأن يكون فصيحًا بليغًا أديبًا ضليعًا فى اللغة والأدب راويا للكثير من الشعر لأخذ معانى ما يريد منه ويحل ما يختاره . ويأتى به منثورًا فى مواضعه([1]) .

وهو أجل الكتاب المستخدمين فى هذا الديوان لأنه يتولى الانشاء من نفسه، تلقى إليه الكلمة الفذة والمعنى الواحد فينشىء عليه كتابًا طويلاً وكلامًا كثيرًا وكلما كان كلامه أبرع وفى النفوس أوقع عظمت رتبة الملك وارتفعت منزلته عند الأمة وهو الذى ينشئ (يكتب) التقليدات([2]) والكتب فى الحوادث الكبار والمهمات العظام التى تتلى على المنابر وعلى رؤس الأشهاد، فيطيل فى موضع الإطالة ويختصر مكان الاختصار([3]) .

ويعرض ابن منجب لمن ينبغى أن يستخدم فى المكاتبة عن الملوك إلى الملوك والمماثلين له والمخالفين للغته وملته . فيذكر أن الكاتب المؤهل لهذه الرتبة أعظم منزلة من كاتب الإنشاء وأعلى درجة لأنه يجمع بين ما فرضنا وجوبه على ذلك الكاتب من العلم والمعرفة والفصاحة والبلاغة وحسن الألفاظ وإتقان الإنشاء وبين ما يختص به هو من علو الهمة وقوة العزم وكبر النفس

---

(١) ابن منجب : نفسه ص ١١٨ ، على بهجت .

(٢) التقليد : ويجمع على تقليدات . هو الأمر القاضى بتعيين النواب أى الولاة والقضاة والكتاب وعلى العموم أرباب الوظائف غير العسكرية .
ابن منجب : ص ١١٨ - ١١٩ على بهجت .

(٣) ابن منجب : ص ١١٩ على بهجت .

فإنـه يكـاتب الملـوك عـن ملكـه ، ومكاتبـة الملـوك أحـوج شـىء إلـى التفخيـم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرعبة ، فكلما كـان الكـاتب أقـوى نفسـًا وأشد عزمـًا وأعلى همة ، كان فى ذلك أمضـى وعليـه أقـدر وينبغـى أن يختار من أعلى الناس طبقة وأن يكون على دين الملـك ومذهبـه لمـا شـرطناه أولاً ولكونه يكاتب الملوك المخالفة ملتهم ملة ملكه وربما إحتـاج فـى مكاتباتـه إلى تفخيم ملة ملكه والاحتجاج لها وإقامة الدلائل على صحتها ولن يحتج لملة من اعتقد خلافها ، فإن اعترض معترض بالصابى وأنه كان يكتب عن ملـوك مسلمين وهو على غيره ملتهم(١) فالجواب أنه كان مـن أهـل ملـة قليـل أهلهـا ليس لهم ذكر ولا مملكة ولا لهم دولة قائمة ولا منهـم محـارب لأهـل الإسـلام ولا من يكَاتَب ويُكاتِب ولا من يخشى من الكاتب الميل إليـه والإنحـراف معـه ثم إن المشهور من أحـوال ذلـك الكـاتب أنـه كـان قـد حفـظ مـن ملـة الإسـلام وسننها مما يحتاج إليه فى كتابته ما لايوجد عند كثير من المسلمين فى زمانـه وكان فى صناعته الغاية فى وقته فقادت ملـوك عصـره الضـرورة إليـه إذ لـم يجدوا من المسلمين من يغنى غناه ولا يسد مسده(٢) .

ومما يحتاج أن يفهمه هذا الكاتب أن يعرف الفرق بين مخاطبة الملـوك الإسلامية وبين مخاطبة الملوك المخالفين للملة واللسان لأن مخاطبة من يتكلم باللسان العربى مشهور المقاصد معروفه الطرائق من السـجع وتدقيـق الألفـاظ وتحسينها وزخرفتها وترتيبها مع ضبط المعنى وحسن التـأليف . وأمـا مكاتبـة

---

(١) ذكر ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١ ، ص٥٢ أنه « كان متشددًا فى دينه وجهد عليه عز الدولة أن يسلم فلم يفعل وكان يصوم شهر رمضـان مـع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم ، أحسن حفظ وكان يستعمله فى رسائله » .

(٢) على بهجت : قانون ديوان الرسائل ص١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

المخالفين للسان فإنه لا ينبغى أن يلم فيها بالألفاظ المسجوعة ولا ضرب الأمثال والتشبيهات ، والاستعارات ، فإن ذلك إنما يستحسن ما دام مفهوما فى تلك اللغة وغير منقول إلى غيرها([1]) .

وفى فصل فيمن ينبغى أن يستخدم لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها يقول ابن منجب : وهى رتبة عالية الخطر جليلة القدر ، ويكون زكيا فهما عالما من الأدب والعربية ويكون عمله كتب الأجوبة والأوامر المبتدأ بها إلى كبراء الدولة وولاتها ووجوهها وإنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والأمانات وكتب الإيمان والقسامات([2]) .

وينبغى أن يكون مأمونا على الأسرار كاف اليد نزه النفس عن حطام الدنيا لأنه يطلع على أكثر ما يجرى فى الدولة ويعلم بالوالى قبل توليته والمصروف قبل صرفه ويجب أن يختار سريع اليد فى الكتابة حسن الخط إذ كان هذا الفن أكثر ما يستعمل ولا يكاد يقل فى وقت من الأوقات([3]) .

وفى فصل فيمن ينبغى أن يؤهل لكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ. يشير ابن منجب أن هذه المنزلة بقوله : « لما كان هذا الشغل واسعًا

---

(١) على بهجت : قانون ديوان الرسائل ص١٢٨ ، ١٢٩ .
أيمن فؤاد : القانونون فى ديوان الرسائل ص٢٦

(٢) أورد ابن فضل العمرى فى الفصل الثالث من كتابه (التعريف بالمصطلح الشريف تحت عنوان الإيمان التى يستحلف بها للمبايعة التامة نسخًا بعضها لأهل الإسلام على اختلاف وظائفهم وبعضها لأهل الكتاب من النصارى وغيرها للسامرة والمجوس وأهل البدع من الروافض والخوارج والدروز . على بهجت : قانون ص١٣٠.

(٣) على بهجت : قانون ديوان الرسائل ص١٣٢ .
، أعين فؤاد سيد : القانون ص٢٧ .

و أكثر عمل الديون والذى لا ينفك منه لم يكد يستقل به رجل واحد ، فيحتاج إلى معاضدته بآخر يكون دونه فى المنزلة ويجعل برسم تسطير المناشير والفصول المتقدمة إلى المقيميين بالحضرة وكتب تذاكير المستخدمين ونقلها مما يمثله صاحب الديوان وعلى نسخ جميع ما يكتب فى هذا الديوان ويصدر عنه فى نسخ مخلدة فيه ولا تغادر بحرف لتكون موجودة متى احتيج إليها([1]) وعلى نقل ما يخص ديوان الخراج فإنه كثيرًا ما ترد الكتب مضمنة أشياء من أمور الخراج وما لا يعلم كيف الإجابة عنه إلا متولى ديوانه ، ولا ينبغى أن يخرج الكتب المتضمنة ذلك إلى ديوان الخراج ليجاب عنها منه لأنها قد تشتمل على أشياء غير ذلك لا يجوز أن يطلع عليها فينبغى أن ينقل هذا الكاتب الفصول المختصة بذلك فى أوراق ويعنى بالكتب التى وصلت فيها وتاريخها والجهة التى وردت منها وعلى هيئتها ويستدعى من متولى ديوان الخراج الجواب عن كل منها فى تلك الأوراق ثم يعرض ذلك كله على الملك ويستخرج أمره بإمضاء المكاتبة به أو تغييره ، وينبغى أن يكون هذا الكاتب مأمونا كتومـًا للسر فيه من الأدب ما يأمن من معه من الخطأ أو اللحن فى لفظه وخطه ويكون حسن الخط([2]) .

وفى فصل فيمن ينبغى أن يكون منتصبا فى هذا الديوان يشترط ابن منجب فيمن يسخدم للإنشاء ومكاتبة الملوك حسن الخط بحيث لا يوجد فى وقته من هو أحسن خطا منه. لتصدر الكتب عن الملك . بالألفاظ البارعة والخط الرائع([3]).

---

(١) وهى المعروفة الآن بدفاتر الكوبيا فىبعض الدواوين بخلاف البعض الآخر الذى يرى أن هذه الطريقة أسهل تناولا وأكثر دقة فيستعملها كما أشار إليها بن الصيرفى . على بهجت ص١٣٣ هامش (١) .

(٢) على بهجت : قانون ص١٣٤ ، أيمن فؤاد : القانون ص٢٨ ، ٢٩ .

(٣) على بهجت : ص١٣٤ ، ص١٣٥ ، أيمن فؤاد : نفسه ص٢٩ .

وفى فصل فى من ينبغى أن يستخدم متصفحًا لما يكتب إعانة لمتولى الديوان يجب أن يستخدم لمتولى الديوان معين يتصفح جميع الإنشاء والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر فيه لأنه يغنى عن نظر متولى الديوان لها واستسعافه إياها ، ولكى يحمل عنه أكثر الكل فيها وتصير إليه وقد قاربت الصحة أو بلغتها فتريحه من الإصلاح والتغيير لدقائق الأمور ويتوفر نظره وتصفحه على جلائلها وعلى المعانى نفسها . وعلى علم باللغة والنحو وحفظ كتاب الله ، زكيا حسن الفطنة عاقلاً مأمونًا ويؤخذ الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولى الديوان فإذا تصفحه واستوفقه كتب خطا فيه بما يعرف به رضاه عنه ليلتزم بدرك ما فيه ويبرأ منشئه([1]) .

وفى فصل فيما ينبغى أن يوضع فى هذا الديوان من الدفاتر والتذاكير([2]) وصفة من ينبغى أن يعذق به ذلك . ويشترط أن يختار له كاتب مأمون طويل الروح صبور على التعب محب للعمل فيضع فيه تذاكير تشتمل على مهمات الأمور التى تنهى فى ضمن الكتب ويظن أنه ربما سئل عنها أو احتيج إليه فيكون وجودها من هذه التذاكير أهون من التفتيش عليها من الأضابير([3]) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ١ ، ص١٣٣ .
، أيمن فؤاد : نفسه ص٣٠ .

(٢) يذكرها د. أيمن فؤاد : فى نسخته المحققة . التذاكر ص٣٠ .
وهذه التذاكير خصوصية للكتبة بمثابة مفكرات لهم وليست من قبيل الدفاتر الرسمية .
وقد نصح ابن الصيرفى بأتخاذها ليكون الكاتب على الدوام حاضر الجواب وربما استعمل بعض حذاق الكتبة الآن هذه الطريقة التى لا تخفى فائدتها .

(٣) على بهجت : نفسه ص١٣٧ ، ١٣٨ .

ويجب أن يسلم إليه جميع الكتب الواردة بعد أن يكتب الإجابة عنها ليتأملها وينقل منها فى تذاكيره ما يحتاج إليه وإن كان قد أجيب عنها بشىء نقله ويجعل لكل صفقة أوراقًا من هذه التذاكير على حدة ، تكون على رؤوس الأوراق علامات باسم تلك الصفقة ، أو الجهة وتكتب على هذه الصفقة : فصل من كتاب فلان الوالى أو المشارف أو العامل ورد بتاريخ كذا مضمونة كذا أجيب عنه بكذا، أو لم يجب عنه إلى أن تفرغ السنة فيستجد للسنة التى تتلوها تذكرة أخرى ويجعل له أيضًا تذكرة يسطر فيها مهمات ما يخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها وتكون على تلك الهيئة من ذكر النواحى والمستخدمين وإذا ورد جواب عن هذا الفصل كتب فى تذكرته ورد جوابه بتاريخ كذا يتضمن كذا(١) .

وهذا إذا اعتمد وجد السلطان جميع ما يسأل عنه حاضرًا فى وقته وغير متعذر عليه ويجب لهذا الكاتب أن يضع فى هذا الديوان دفترًا بألقاب الولاة وغيرهم من المستخدمين وأسمائهم به ، ويضع فيه أيضًا ألقاب الملوك الأباعد والمكاتبين من الآفاق وكتابهم وأسمائهم وترتيب الدعاء لهم ، ويجعل لكل خدمة ورقة مقررة فيها اسم متوليها ولقبه ودعاؤه وينبغى أن يضع دفتر اللحوادث العظيمة وما يتلوها مما يجرى فى جميع المملكة ويذكر كلا منها فى تاريخه . ويجب أن يضع تبيانا للتشريفات والخلع ليكون قدوة متى احتيج إليها ويجب أن يعمل فهرست للكتب الواردة مفصلاً مسانهة ومشاهرة ومياومة ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته كتاب ورد بتاريخ كذا ويشير إلى مضمونه إشارة تدل عليه أو بنسخه جميعًا إذ دعت الحاجة إلى ذلك ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ على ما يوصف فى بابه .

---

(١) على بهجت : نفسه ص١٣٧ ، ١٣٨ .

ويجب أن يعمل فهرست للكتب الصادرة على حدته على التـأليف ، ويجب أن يعمل فهرست للإنشاءات والتقليدات والأمانات والمناشير شهر بالمدة سنة فإذا انقضت سنة استجد آخر وعمل فيه على مثل ما تقدم فإن هذه القوانين إذا اعتمدت في ديوان الرسائل انضبطت أمور ولم يكد يختل منه شيء وكان جميع ما يلتمس منه موجودًا بأهون سعي في أسرع وقت(١).

ويجب أن يضاف إلى هذا الكاتب النظر فيما يصل إلى هذا الديوان من الكتب بالخط الأرمني أو الرومي أو الفرنجي وغيره من الخطوط المخالفة للخط العربي وأن يخطر من يحضر من هو مشهور بمعرفة ذلك الخط وقراءته ونقله إلى الكلام العربي فإن كان جيد الترجمة تركه يكتب في ظهر الخطاب وإن كان الخطاب مشحونًا كتب الترجمة في ورقة منفصلة . وإن لم يكن هذا المترجم يحسن الكتابة العربية كتب عنه الكتاب بمحضر من الشاهدين لئلا يكون قد غير فيما يترجم لأن أكثر من يترجم ربما يكون على مذهب صاحب الخط فربما كتم عنه شيئًا أو داجى فيه فإذا رعب (خوف) بالإشهاد وقيل له إن غيره يحضر لتفسيره أيضًا فربما خاف وأدى الأمانة(٢) .

وفي فصل في من ينبغي أن يستخدم خازنا لهذا الديوان وما تقضي خدمته يذكر ابن منجب أنه ينبغي أن يختار لهذه الخدمة رجل ذكي فطن عاقل مأمون ملازم للحضور بين يدي الكتاب المستخدمين فيه فمتى كتب المنشيء أو المستخدم لمكاتبة الملوك كتابًا سلمه إلى المندوب للنسخ فنسخه وأرخه

---

(١) على بهجت : نفسه ص١٤٠ .

(٢) على بهجت : قانون ص١٤٠ ، ١٤١ .

، أيمن فؤاد : القانون ص٢٩ – ٣٤ .

بيومه وسنته وتسلمه هذا الخازن فشكه (أى ضمه) مع أمثاله فى شكة تلك السنة وكذلك فى كتب الكاتب المؤهل لمكاتبة رجال الدولة وكبرائها وأمرائها أو المستخدم لكتب المناشير وغيرها شيئًا مما هما مندوبان له أخذ الناسخ ينسخه حرفا وكتب عليه ما تقدم ذكره وجعل هذا الخازن كل شيء من ذلك مع شبهه (نظيره) وجعل كل سنة على حدتها مقسمة اثنى عشر فصلاً كل شهر على حدته مضمنا شكة واحدة (حزمة) حتى إذا التمس شيئًا من ذلك وجده بأهون سعى)[1] .

وكذلك يجمع الكتب الواردة بعد أن يأخذ خط الكاتب الذى كتب جوابها بما مثاله : ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا وكتب جوابه بتاريخ كذا وإذا اقتضت الحال ألا جواب له أخذ عليه خط صاحب الديوان بأنه لا جواب لتبرأ ذمته منه ولا يتأول عليه فى وقت من الأوقات أنه أخفاه ولم يعلم به . ويجعل لكل شهر اضبارة يكتب عليها بطاقة تتضمن اسم الشهر ، ويجعل الكتب فى ضمنها أضابير لكل صفقة من الأعمال (مجموعة) اضبارة[2] وعليها بطاقة مثاله : بطاقة لما ورد من المكاتبات من أعمال الصعيد الأدنى[3] فى الشهر الفلانى يجمع فيها كتب متولى الحرب والمشارف[4]

---

(١) على بهجت : قانون ص١٤٢ .

(٢) و هو ما يعرف بالأرشيف : اضبارة بالكسر والفتح أضابير : الحزمة من الصحف وهى بمعنى الملفات .

(٣) الصعيد الأدنى من الجيزة حتى أسيوط . أيمن فؤاد : القانون ص٣٥ هامش (٢) .

(٤) المشارف : من لوازمه أن يكتب على الوصولات (جمع ايصال) وعلى الحساب ويكون له تعليق بخدمه ويقابل به على المستخدمين معه ولا يلزمه عمل حساب ويطالب الحاصل .

والضمـان(١) والعمـال ومتولـى الـترتيب(٢) (كـذا) والقضـاة ومـن عسـاه أن يكـاتب أو يرفـع رقعـة تختـص بتلك الناحيـة فيجعلهـا معهـا وكذلـك لسـيوط (أسيوط) ولأخميـم أخـرى وللصعيـد الأعلـى أخـرى ولكـل ناحيـة مـن النواحـى اضبـارة علـى حـدة ويحيـط بـالجميع للشـهر المذكـور اضبـارة جامعـة .

وينبغى لهذا الخازن أن يحتفظ بجمـع مـا فـى هـذا الديـوان مـن الكتـب الواردة وينسخ الكتب الصادرة والتذاكير وخرائط المهمات وضرائـب الرسـوم وغير ذلك مما فيه احتفاظ شديد (سرية شديدة) . ويكون مـن الأمانـة والثقـة إلى حد كبير فإن زمام كل شيء بيده ومتى كان قليل الأمانة أمالته الرشوة إلى

---

(١) ضامن : والجمع ضمان ويطلق على النظام الضمان والضامن شخص يلتزم بأن يدفـع مقدما للدولة مقدارًا معينا من المال عن الجهة التى تضمنها ثم يطلب بذلك المقدار فإن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه وعندما كان بعض الضمان يعجزون عنه الوفاء بمـا ألتزموا به كان يصدر عن الخليفة (الفاطمى) أو الوزير سجل بالمسامحة بالضمان .
، القلقشندى : صبح الأعشـى جـ٣ ، ص٤٦٦ ، المقريـزى : خطـط جـ١ ، ص٨٣ - ٨٤ . ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص٢٩٨ - ٣٠٠ ، راشد البرواى : حالة مصـر الاقتصادية فـى عهد الفـاطميين ص٣٢٢ - ٣٢٣ ، حسـن الباشـا : الفنـون والوظـائف ص٧٢٥ - ٧٢٦

Rabie. H. the Financial system of Egypt .p. 136

(٢) على بهجت : قانون ص١٤٢ - ١٤٣ ، عرف هذا الديوان فى صدر الدولة الفاطميـة وتولى المسبحى المؤرخ هذا الديوان أكثر من مرة فى عهد الحاكم بأمر الله .
المسبحى : أخبار ص١٠٩ ، ابن خلكان : وفيـات جـ٤ ص٣٧٧ كمـا تـولاه فـى زمـن الظاهر أبو سعد بن أحمد العميدى الكاتب وعزل عنه سنة ٤١٣هـ .
، أيمن فؤاد : القانون ص٣٥ - ٣٦ هامش (٥) .

إخراج شيء من المكاتبات من الديوان وتسليمه إلى من يكون عليه فيه ضرر أو لمن يأخذه نفع[١] .

---

(١) يشير ابن منجب إلى مثال لذلك بقوله ومن أحسن ما سمعته فى أمانة خازن ما رواه على ابن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة (وكان من شيوخ الكتاب فى أيام المقتدر توفى سنة ٣١٠هـ من مؤلفاته « جواب المعنت » من أنه كانت تجمع الأعمال والحسبانات بالعراق بعد كل ثلاث سنين إلى خزانة تعرف بالخزانة العظمى كان يتولى فى وقته ذلك رجل يعرف بمحمد بن سليمان الكاتب وكان شديد الأمانة وكان رزقه كل شهر خمسمائة درهم وكان له خازن يقال له إبراهيم فحدث إبراهيم أن رجلاً لقيه فى بعض طرق من جهة أبى الوليد أحمد بن أبى دؤاد فقال له هل لك فى الغنى بقية عمرك وأعمار عقبك من بعدك من حيث لا يضرك ؟ فقال هذا لا يكون فقال : لا بلى ، فى خزائنك دفتر قراطيس أعرف موضعه من بعض الخزائن من رفوفها وأسألك أن تنقله من ذلك الرف إلى رف غيره ولا تخرجه ولا تغيره وأحمل إليك مائة ألف درهم وأعطيك كتاب ضيعة تغل كل سنة ألف دينار وتخرج عن الديوان قال فارتعد من هول ما سمعه وقال ليس يمكننى فى هذا شيء ألا بأمر صاحب الديوان فقال له فأعرض ذلك على صاحبك واجعل هذا الشيء له ونجعل لك شيئًا آخر . فعرف محمد بن سلميان الخازن صاحبه الخبر وكان فى منزله آخر نهار فقال له : ما قلت للرجل؟ قال قلت له أنى أستأمرك فأمر أبناله وابن أخ بالتوكيل به فلم يفارقاه طول ليلته فلما أصبح صار معه إلى الديوان فوقفه على الدفتر فأخذه محمد بن سليمان الخازن وحمله فى قباء ولم يزل يترقب على بن عيسى صاحب الديوان حتى حضر فلما حضر صار إليه وكان أبو الوليد فى حبسه فقص عليه القصة ورفع إليه الدفتر فنظر فيه فوجده نسخة كتاب من بعض النظار بما وقف عليه من فضل ما بين القوانين التى كانت تلزم ضياع أحمد بن أبى ذؤاد وبين ما يلزمها على معاملة العامة لجميع السنين . وأن جملته أكثر من ثلاثين ألف ألف درهم فأحضر على بن عيسى أبا الوليد وأسمعه كل غليظ على جلالة رتبته وأمر بأخذ قلنسوته وأن يضرب بها رأسه ويطالب بالمال . فلولا أمانة هذا الخازن ونزاهة نفسه وصلفها عن المال الذى بذل مع كثرته لرغب فيه ورأى أن لا شيء عليه فى نقل دفتر من مكان إلى مكان فمتى لم يكن الخازن بهذه الصفة لم يؤمن من غوائله .

على بهجت : قانون ص١٤٤ - ١٤٧ .

، أيمن فؤاد : القانون ص٣٦ هامش (٤) .

ويلزم الخازن جمع كل شيء إلى مثله نحو الأجوبة الديوانية والخطوط الرومية والأرمنية وغيرها مما يحتاج إلى النقل والترجمة ، ويكون للمباشرة له حكمها (كذا) وعلى الجملة فإنه يحتاج فيه أن يكون أوثق من كل من فى هذا الديوان وآمن وأنزه نفسًا(١) .

وفى فصل فيما يختص بالتوقعيات ذكر ابن منجب أنه لما كان التوقيع عن الملك قد صار على العادة الجارية فى هذه الديار ، وكان جزءًا من ديوان المكاتبات لترادف مرور السنين فيه وجب أن يذكر فى هذا الكتاب والتوقيع عن حضرة الملك أمر جليل يجرى مجرى الإنشاء عنه ، بل أوفى رتبة لأن به المنع والإطلاق والصرف والتصريف وغير ذلك من جلائل الأمور ويجب أن يرتاد له من يكون مأمونا فى الغاية لئلا يدغل فيه ويتمم على الملك ما لم يأمر به فإن أشغال الملك أعظم وأكثر من أن يتصفح كبائر الأمور وصغائرها وأن يكون ذكيا ، جيد الخط خبيرًا بما يقوله بصيرًا بترتيب التوقيعات وأوضاعها وقوانين المخاطبات فيها مخلصًا لمن يوقع عنه ويوقع له ، ويكون جلدا على الملازمة واسع الصدر غير ضجر من ترادف حوائج الناس إليه ولا مائل إلى حب اللهو والدعه والأصلح لهذه الرتبة ألا يتولاها إلا من يتولى ديوان رسائله(٢) .

وفى فصل التوقعيات فى رقاع المظالم خاصة يقول ابن منجب : « هذا جزء من التوقيعات إلا أنه مهم كبير منهم لكونه مقتضيا إنصاف الناس

---

(١) على بهجت : قانون ص٣٤ - ٣٨ .
، أيمن فؤاد : القانون ص١٤٧ .
(٢) على بهجت : قانون ص١٤٧ - ١٤٩ .
، أيمن فؤاد : القانون ص٣٨ - ٣٩ .

بعضهم من بعض وإقامة ناموس العدل فى المملكة ولأن أكثر المتظلمين ضعفاء صعاليك وحُرم»(١) يأتون من أطراف المملكة اعتقادا فى أنهم صائرون إلى من ينصرهم ويكشف ظلامتهم ويعينهم على خصومهم ، غير أنهم لا يلبثوا أن يجدوا من قلة الاحتفال بهم وتضييع رقاعهم والضجر منها ولإنشغال الكتاب باللذات والتوقيع على ما يوقع منها عليها بما لا ينفع أربابه بالجملة ولا له معنى يفيدهم وبعض هذه الكتب والإظلامات يكتب على بعضها « يعرض » وعلى أكثرها « يجدد عرضه » فإذا اكتبوا غيرها وقع عليها مثل ذلك أيضًا وأما « لا سبيل إلى ذلك » فهى لفظة قد اعتادوها حتى لو ألتمس نصرانى أن يسلم أو مسلم أن يبنى مسجدًا من ماله فى أرض مباحة لا مالك لها لوقع على رقعته « لا سبيل إلى ذلك » ولا يوقع إلا فيما كان تحطيطه الجزية على الذمة وعمارة الكنائس وما أشبه ذلك لكون بعض من كان يوقع نصرانيا ويجب ألا يتولى متولى هذه الخدمة ألا متولى ديوان الرسائل الذى قدمنا ذكره وصفته فإنه جدير بها وأن منعه الشغل عنها فيجب أن يرتاد لها كاتبا كافيا مسلما ناهضا ديناجيد الخط والفهم يتقى الله تعالى فى أموره ومؤثرًا آخرته على دنياه ويوقع فيما أمكنه التوقيع فيه من رقاع المتظلمين مما جرت العادة بمثله(٢) .

وما كان لابد من عرضه على السلطان واستطلاع رأيه فيه سلمه إلى متولى ديوانه ليحضر به المجلس ويستخرج فيه الأمر أو يحضر الكاتب نفسه فيقرأ المهمات منها ويستأذن عليها ويوقع بما يؤمر فيها فقد تحدث فيها الرقعة

---

(١) على بهجت : قانونص١٥٠ ، ويذكر أيمن فؤاد : القانون ص٤٠ وحُرم .

(٢) على بهجت : قانون ص١٥٤ - ١٥٥ .

، أيمن فؤاد : القانون ص٤١٠ مما يسأل .

المهمة التى تنتفع الدولة بها ويستضر بتأخير النظر فيها ويفهم من طى هذه الرقاع جور بعض الولادة والمستخدمين وامتداد أيديهم ما توجب السياسة صرفهم عما ولوه منها وما كان مما سأل السلطان فى صحته ندب من يثق به لكشفه مع رافعه فإن صح القول أنصف من خصمه وإن بان تمحله قوبل بما يردع أمثاله على الكذب والتخرص فيكون بذلك كافا لمن يهم بشكوى أحد على سبيل المحال وقول الزور فيه ويعلم الولاة والمشارفون وسائر المستخدمين أن السلطان متفرغ للنظر فى قصص الناس وشكا ويهم أو قد نصب لذلك من يتفرغ له ويطالع تألمهم منه فتنكف أيديهم عن الظلم والتعدى ويحذرون من سوء عاقبة فعلهم المؤدى إلى ضرر الرعية فينحسم بذلك مادة كبيرة من الفساد ويقل المتكلمون قولا وتحسن سمعة الدولة بذلك ويكون لها الجمال الكبير (١) .

ويختم ابن منجب كتابه بقوله : قد أتينا بجميع ما شرطناه فى صدر هذا الكتاب من القوانين التى يجب أن يكون عليها متولى ديوان الرسائل وكتابه ومعينوه وجميع المستخدمين عنده على أفضل الوجوه وأسدها . وجعلناه مع شدة الاختصار والايجاز جامعًا للمعانى التى يحتاج إليها (٢) .

---

(١) ابن منجب : قانون ص١٥٥ -١٥٦ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٥٥ - ١٥٦ .

ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود الغزنوى

(٤٢١ - ٤٣٢هـ/١٠٣٠ - ١٠٤٠م)

نشأة ديوان الرسائل :

ديوان كلمة فارسية كان معناها أول الأمر السجل الذى يكتب فيه ما يتصل بشئون الإدارة ، ثم أصبحت تطلق على المكان الذى يعمل فيه الكتاب ولعلها تشمل القوانين التى تتبعها الدولة فى شئونها المالية والعسكرية والسياسية، كما تشمل الجماعات التى تعمل لتنفيذ هذه القوانين([1]) .

ويعرف ابن خلدون الديوان بقوله : « إنه القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة فى الداخل والخارج ، وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم فى إباناتها والرجوع فى ذلك إلى القوانين التى يرتبها قِوِّمة (أى القائمين عليها) تلك الأعمال وقهارمة الدولة وهى كلها مسطورة فى كتاب شاهد بتفاصيل ذلك فى الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به إلا المهرة من أهل تلك الأعمال ويسمى ذلك الكتاب «بالديوان» وكذلك يسمى مكان جلوس العمال المباشرين لها»([2]).

---

(١) سامية مصطفى مسعد : الحضارة الإسلامية ص٤٥ - ص٤٦ سلسلة تاريخ العرب والإسلام طبعة ١٩٩٦م مطبعة الوفاء بالزقازيق .

(٢) ابن خلدون : المقدمةص٢٤٣ ، دار القلم الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

كان ديوان الرسائل أول ديوان وضع فى الإسلام([1]) وذلك أن النبى ﷺ كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام وبعث إليهم رسله فبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس ودحية الكلبى إلى هرقل ملك الروم وحاطب بن أبى بلتعه إلى المقوقس صاحب مصر([2]) .

وهو من الدواوين التى استحدثت زمن معاوية بن أبى سفيان ويقوم متولى هذا الديوان بالإشراف على الرسائل الواردة من الولايات الإسلامية أو الموجهة من الخليفة إلى عماله ، وكان القائم على هذا الديوان يختار من أهل النسب وعظماء القبائل ، ولم يلبث أن تعددت اختصاصات هذا الديوان وكثر عدد كتابه وأصبح لهذا الديوان محفوظات خاصة يشرف عليها خازن يحفظ أصول المراسلات ونسخها منظمة فى سجلات أو ملفات خاصة تسمى أضابير مفهرسة ببطاقات فيها محتوياتها ليسهل استخراجها والرجوع إليها([3]).

وقيل فى ديوان الرسائل « ديوان المكاتبات » ثم غلب عليه اسم «ديوان الإنشاء »([4]) لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء([5]) .

وكان ديوان الرسائل يضم عددًا من المكاتبات المهمة مثل العهود لتولية المناصب الكبيرة من وزارة أو إمارة أو قضاء أو كتابة العهود والمواثيق

---

(١) أبى الحسين هلال بن المحسن الصابى : رسوم دار الخلافة ص١٢ هامش (٢) .

(٢) ابن منجب الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ص٩٢ نشر وتعليق على بهجت مطبعة الواعظ مصر ١٩٠٥م الطبعة الأولى .

(٣) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ص٣٦ مكتبة الخانجى .

(٤) الصابى : رسوم دار الخلافة ص١٢ هامش (٢) .

(٥) ابن منجب : قانون ص٩٢ .

وتسلم جميع الرسائل الواردة من جميع الولايات في مختلف الشئون لرئيس الديوان الذى يقوم برفعها إلى ولى الأمر(١) .

ويشير هلال بن المحسن الصابى فى كتابه رسوم دار الخلافة(٢) إلى صلاحيات متولى ديوان الرسائل بقوله : « كان أبو إسحاق - جد هلال - يتولى ديوان الإنشاء والرسائل فى بغداد وخدم هلال فى هذا الديوان حينا من الزمن(٣) مع جده أبى إسحاق فبرع فى ذلك وتيسر له - وهو فى دار الخلافة العباسية أن يقف على شئون تلك الدار من رسوم وما كان داخل أسوارها من خبايا وخفايا وأسرار ، ويستقرىء أبنيتها ومجالسها ودورها ومسالكها وصحونها وخزائنها ودواخلها وغوامضها ، فاتيحت له معرفة أحوال الخلفاء، فوقف على عاداتهم وأخلاقهم ورسومهم فى الملبس والمأكل والمشرب ونحو ذلك حتى فاق جده إبراهيم الصابى » ولعل هلالا صنف كتابه « رسوم دار الخلافة » حين كان يعمل فى ديوان الإنشاء(٤) .

- رؤساء ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود الغزنوى:

كانت رئاسة ديوان الرسائل تسند إلى « الأستاذ »(٥) أو «الخواجة»(٦) وقد يجتمع اللقبان لعلو منزلته فى الدولة ، كما حدث لأبى نصر مشكان رئيس ديوان الرسائل فى عهد السلطان مسعود .

---

(١) البيهقى : تاريخ البيهقى ص١٦٢ ، ٣٢٤ وانظر أيضًا
Bosworth: the ghaznavids their Empirien Afghanistan and Eastern iran 994 - 1040 .

(٢) ص١٢ - ١٣ .

(٣) تقلده فى سنة ٣٤٩هـ راجع تكملة تاريخ الطبرى . ص١٧٩ .

(٤) الصابى : رسوم ص١٢ - ١٣ .

(٥) أستاذ أو أوسطاد كلمة فارسية تعنى الرئيس انظر أدى شير : الألفاظ الفارسية المعربة ص١٠ نشر المطبعة الكاثوليكية بيروت - لبنان وأستاذ الصناعة رئيسها ولفظها الفارس (أسطاد) ومنها أوسطى بالتركية والكردية.

(٦) الخواجة:أصلها فارسى بمعنى الأستاذ أو العالم أو المدرس أو السيد وتنطق «خاجة». ، عبد النعيم حسنين : قاموس اللغة الفارسية دار الكتاب المصرى الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

ونظرًا لأهمية منصب رئيس ديوان الرسائل[١] كان يراعى فى صاحبه إجادة الكتابة باللغتين العربية والفارسية . ولما كان الرئيس عادة لايجيد لغة الهنود ، لذلك كانوا يحيلون أوراق عمال الهند فى هذا الديوان إلى كاتب هندى من الثقاة الذين يستطيعون النقل من الهندية إلى العربية وبالعكس[٢] وقد تولى هذا العمل فى عهد مسعود الأول « تلك »[٣] الهندى . ثم تولى بعده شخص يدعى «بيربال»[٤] .

أبو نصر مشكان[٥] :

وممن ولى رياسة ديوان الرسائل « أبو نصر مشكان » عمل رئيسا لديوان الرسائل منذ عهد السلطان محمود الغزنوى ، وكان من المبرزين فى ذلك العمل ولما توفى السلطان محمود وخلفه ابنه السلطان مسعود اختار أبا نصر لرئاسة ديوان الرسائل ، ومنذ ذلك الحين علا نجم أبى نصر مشكان وكان السلطان مسعود يستشيره فى جلائل الأمور فيدلى بالرأى الجيد فى هدوء طبع وصراحة مع خضوع وإجلال . ويذكر البيهقى أن السلطان مسعود استشار « أبا نصر مشكان » بعد استقرار الأوضاع وضبط زمام الأمور فى الدولة وسياستها ، والح عليه فى النصح فصرح أبو مشكان « أنه ينبغى السير

---

(١) يذكر بوزورث أنه كان أقل مرتبة من الوزير ، وإن كانت ترتفع مرتبته فى بعض الأحيان إلى مرتبة الوزير .

Bosworth: the Ghaznavids. p. 92.

(٢) البيهقى : تاريخه ص٤٣١ .

(٣) نفس المصدر ص٤٣٠ وما بعدها .

(٤) البيهقى : ص٤٣١ .

(٥) قيل « مشكان » اسم أبيه ، وقيل اسم موضع قريب من غزنة نسب إليه أو عرف به خليل الله خليلى : سلطنت غزنويان ص٢٩٩ مطبعة عمومى كامل ميزان١٣٣٣هـ.ش.

على الخط الذى رسمه السلطان محمود فى سياسته الداخلية والخارجية حتى لا يقول قائل : « لو عملت كذا لكان أصلح وهذا كيلا يحدث خلل ... وما دام العبد فى الخدمة وكلامه موضع الثقة ، فإنه لا يبخل بما يرى فيه إصلاحًا وذلك جل غرضى فقال له السلطان : نعم ما قلت وإنى لعامل بنصيحتك »(١).

اعتداد أبو نصر مشكان بنفسه :

وكان أبو نصر مشكان معتدًا بنفسه مقدرًا أهمية المنصب الذى كان يتولاه كرئيس لديوان الرسائل ، فكان لا يدخل إلى مجالس السلطان الخاصة ، وكان يخرج مع السلطان مسعود فى شربه وصيده مضطرًا خشية أن يستفيد من غيابه الوشاة فيدبرون له المكائد(٢) ، ويشير إلى ذلك البيهقى بقوله : « وبعد أن أرتاح قلب السلطان مسعود لما تم من أمر أ ريارق والغازى وسوقهما إلى غزنة مال إلى الشراب والصيد فى جانب ترمذ كعادة أبيه السلطان محمود رحمة الله عليه وتحرك ركابه من بلخ يوم الخميس التاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وأربعمائه (١٠٣١م) وبمعيته أكثر الموالى والحشم وذهب أستاذى أبو نصر مشكان مع السلطان وقد كان يرى نفسه مضطرًا إلى ذلك خشية أن يستفيد من غيابه الوشاة فيدبرون له المكائد »(٣).

وكذلك كان لا يتردد على الوزراء وكبار المسئولين ، ولا يكثر من زيارتهم وذلك على الرغم من تقدير السلطان مسعود له وكذلك الوزراء وكان

---

(١) البيهقى : ص٦٦ .

(٢) يشير البيهقى ص١٥٢ إلى أن أبا نصر مشكان صاحب ديوان الرسائل كان تحت رقابة اثنين من كتابه هما أبو الفتح الحاتمى وعبيد الله ، فلما وثق السلطان به أمره باقصائهما لأنهما لا يليقان بديوان الرسائل .

(٣) البيهقى : ص٢٦٠ .

كثير البقاء فى قصره بين خدمة وأسرته ، فقد لقب بالخواجة ، وخوطب بالشيخ الجليل السيد[١] .

خبرة أبو نصر مشكان بالتاريخ والأخبار :

وكان أبو نصر مشكان كما يقول البيهقى : « آية فى كتابة الرسائل السياسية التى كانت توجه من السلطان إلى الخليفة أو من السلطان إلى الملوك الآخرين أو منه إلى حكامه فى الأطراف »[٢] .

ويذكر البيهقى[٣] الميزة التى يتصف بها تاريخه فيقول إنه كان يذكر هذه الأخبار بهذا التفصيل لأنه كان معتمدًا فى تلك الأيام ، « ولم يكن أحد من الكبار واقفا على هذه الأحوال سوى أستاذى أبى نصر ، الذى كان يعد المسودة وأقوم بنسخها[٤] وكانت هذه هى القاعدة طوال حياة أبى نصر فيما يختص بكتب ملوك الأطراف والخليفة وخانات التركستان وبكل ما هو هام من أعمال الديوان ... والشاهد العدل على ما قلت هو ما لدى من التقاويم فكلها ناطق بهذه الأخبار ولكل من لا يعتقد فى صحة قولى أن يحضر أمام قاضى عدل لتعرض عليه الحوليات فتكون شاهد صدق على قولى[٥] .

مكانة أبو نصر مشكان :

يقول أبو نصر مشكان متحدثا عن نفسه : إنى قائم بما طلب (أى السلطان مسعود) إلى شاكرًا ممتنا ، هذا وقد غمرنى السلطان

---

(١) البيهقى : ص٣٩٦ ، خليل الله خليلى : سلطنت غزنويان ص٢٩٩ ، ص٣٠١ .

(٢) تاريخ البيقهى : ص٩ من المقدمة .

(٣) أبو الفضل البيهقى نائب رئيس ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود .

(٤) البيهقى ص١٣ من المقدمة . وكانت تكتب من الرسائل عدة نسخ . وكلها بمضمون واحد ص٢٦ .

(٥) البيهقى : ص٦٠٥ - ٦٠٦ وكان من أعمال أبو نصر مشكان كتابه الكتب وقيد المشافهات . البيهقى ص٣٩٩ ..

بعطفه وطمأننى بجميل الطاعة وقد سمعت ممن أثق بهم أنه لم يأذن لأحد بالخوض فى شأنى وقد يتحدث إلى بكل ما جرى»([١]).

ويشير البيهقى إلى قلق أبو نصر مشكان من القلاقل التى حدثت فى أيامه فيقول : « فلم يجلس فى الديوان وكان طاهر (الكاتب) وحده فى الديوان يدبر الأمور ، إلا أن السلطان مسعود استدعاه بعد مضى أسبوع وأجلسه وغمره بعطفه وسأله : « لماذا لا تجلس بديوان الرسائل ؟ « فقال : « أطال الله حياة مولانا ، إن طاهرًا هناك وهو كفء لذلك ، وقد بلغ حد الكمال فيه ، كما أنه يعرف جيدًا رغبات مولانا السلطان وميوله ، وقد بلغت من الكبر عتيًا ولم تبق لى قدرة على العمل ، فإذا رأيتم أن آتى إلى الحضرة وأودى خدمة فالأولى أن اشتغل بالدعاء لمولانا السلطان فقال السلطان : « ما هذا الكلام إنى أعرفك حق المعرفة ولا أعرف طاهر فينبغى أن تذهب إلى الديوان لأن مهام الملك كثيرة ، ولا غرو فإنك تعد بعشرة رجال ، وليس لنا غيرك فكيف يصح ألا تجلس فى الديوان ، وفضلاً عن ذلك كله فإن ثقتنا فيك أكثر من ثقة والدنا عشر مرات ، فلنبادر إلى العمل ولتعرض علينا تلك النصائح التى كنت تعرضها على والدنا فإنا مستعدون للعمل بها ، ولقد وثقنا منذ أمد بعيد بنصحك وإخلاصك »([٢]).

فأدى أبو نصر فروض الخدمة ثم أرسل إلى الديوان فى رعاية وإكرام وبلغ منتهى العزة ، وأخذ يصرف الأمور فى الأعمال والخلوات ، ولكن أبا سهل

---

(١) بمناسبة ما تم من القبض على على قريب وأخيه : البيهقى : ص٥٥ وما بعدها .

(٢) البيهقى : ص٦٥ .

الزوزنى سدد نحوه سهم العصبية والغرض ولم يقف عند حد فى إيذائه حتى لقد قال إنه من المستطاع أن يؤخذ من أبى نصر ثلثمائة ألف دينار فقال السلطان : «ليس لأبى نصر مثل هذا المال الطائل ومن أين حصل عليه ، وإذا كان لديه هذا المال فإنى أرى أن استحقاقه إياه خير من فائدته لنا فتجنب الكلام عنه لأنى لا أريد أن تخوض فى حقه » وذكر ذلك لأبى العلاء الطبيب وشكا من أبى سهل الزوزنى قائلاً : « إنه يقول كذا فى حق أبى نصر وقد أجبناه بكذا » فانهى أبو العلاء هذا الحديث لأبى نصر »(١) .

ويحكى البيهقى عن أستاذه رئيس ديوان الرسائل فيقول « وقد سمعت الخواجة أبا نصر يقول : « لقد استدعانى السلطان يوما فى هذا الأسبوع واختلى بى ثم قال : « لقد سارت الأمور فى اتجاه واحد بحمد الله ومنه ، وإنى أرى ألا نسير إلى غزنه بهذه السرعة وأن نرحل من هنا إلى بلخ فيشمل عطفنا البالغ خوارزمشاه الذى هو بمعيتنا ولا يزال على إخلاصه ويعد مثله غنيمة لنا فى هذه الأيام وأن نعيده مكرما . ثم نراسل خانات(٢) تركستان . بعد ذلك ومفاوضتهم فى هذه الأمور ونوفد الرسل ونجدد العهود ثم نرحل إبان الربيع إلى غزنة فما رأيك فى هذا» . فقلت « إن الصواب ما رآه السلطان ولا ينبغى شىء غير هذا » فقال «نعم أريد أكثر من ذلك فينبغى أن تنصح دون وجل وأن نتبين وجه الخطأ والصواب فى هذه الأمور فقلت : « أطال الله بقاء مولانا إن لى بضع نصائح ولكنى أخشى أن تكون ثقيلة والحق مر ولعل ما أقدمه من نصح يذكره مولانا لخاصته فلا يستسيغونه ويقولون لا ينبغى لأبى نصر أن يستمر على هذه الحال فقد أمتدت يده إلى الوزارة والتدبير فالأولى بى أن أظل بديوان الرسائل مشتغلاً بمهنتى أى بالكتابة وحدها وأنى لأرجو أن أعفى من المسائل الأخرى فقال السلطان : «أننى لا

---

(١) البيهقى : ص٦٥ .

(٢) البيهقى : ص٦٦ يقول خانيان يعنى أمراء خانية تركستان .

أوافق مطلقًا على ما تقول فليس لأحد جرأة على أن يفاتحنى فى مثل هذه الأمور، لأن منزلة كل شخص واضحة معروفة » فقلت له « أطال الله حياة مولانا ، فما دام مولانا يرغب فى سماع نصيحتى فإننى أبين له بعض النقاط الدقيقة وفى بيانها وفاء منى لحق هذه الأسرة العظيمة على . ليعلم مولانا أن السلطان الماضى (محمود الغزنوى) كان فريد عصره فى كل الأمور وكانت الدنيا زمانه كالعروس المزدانة بأبهى الزينة والجلال وقد عاش طويلا وعرك الأمور ظاهرها وباطنها واتخذ طريقه سويا ثم تركنا ومضى ويفضل العبد أن يكون السير على طريقته فلا يفسح المجال لأحد ليقول له : « لو عملت كذا لكان أصلح » وهذا كيلا يحدث خلل.... وقد بينت هذا المقدار اليوم وما دام العبد فى الخدمة وكلامه موضع للاستماع فإنه لا يبخل بما يرى فيه صلاحًا وذلك جل غرضى » فقال السلطان : « نعم ما قلت وأنى لعامل بنصيحتك فدعوت له وذهبت لشأنى([1]) .

– دور أبى نصر مشكان فى إعادة الوزير أحمد بن الحسن الميمندى إلى الوزارة .

من أبرز الشخصيات التى قامت بأعباء الوزارة أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندى([2]) . وقد ولى الوزارة منذ عهد السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٤م زمنا طويلا فأعاد إلى اللغة العربية قوتها كلغة للدواوين وأمر كتاب دولته باستعمالها دون غيرها ، وكان رجلا قوى الشخصية واسع المعرفة حكيمًا ذا خبرة بأمور الملك حليما حسن التدبير والرأى ، تدرج فى خدمة الغزنويين منذ عهد الأمير سبكتكين إذ عهد إليه بإحدى الولايات الصغيرة ، ثم عينه السلطان محمود مشرفًا عاما للجند

---

(١) البيهقى : ص ٦٦ ، ص ٦٧ ويذكر البيهقى أن السلطان لم يعمل بذلك فيقول : «والحق أنه لم يمضى أسبوعان حتى رحلنا عن هراة وتغير ذلك الاعداد » .

(٢) نسبة إلى ميمند قرية بنواحى الهند .

وأضيفت إليه ولاية بست والرخج ، ثم ولاه السلطان محمود الوزارة بعد عزل أبى العباس الفضل بن أحمد سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣ - ١٠١٤م فقام بأمر الوزارة وأبدى كفاءة وقدرة فى ذلك ، غير أن ذلك المنصب جعله هدفاً للحساد من ندماء السلطان وكبار الأعيان فى الدولة الأمر الذى حمل السلطان على عزله سنة ٤٠٩هـ / ١٠١٨ - ١٠١٩م بعد أن صودرت أمواله وأمر السلطان بحبسه فى قلعة كالنجر (فى بلاد الهند) إذ بقى بها حتى نهاية حكم السلطان محمود بن سبكتكين(١) .

ويشير البيهقى إلى دور أبى نصر مشكان فى الإفراج عن هذا الوزير بعد تولى السلطان مسعود الحكم فيقول : « أرسلت من هراة رسالة سلطانية مع رجال أبى سهل الزوزنى باستدعاء الخواجه أحمد حسن إلى الدركاة (البلاط) . وسار الاستاذ الرئيس حتى إذا بلغ بلخ قدم لدى السلطان وأدى فروض الطاعة والاحترام واحتفى به السلطان ولا طفه وحدثه بطيب الكلام فأدى الخدمة وعاد إلى الدار التى أعدت لنزوله حيث استراح ثلاثة أيام ثم جاء إلى القصر ودار الحديث فى شأن الوزارة بالمشافهات ولكنه لم يقبل وكان أبو سهل الزوزنى إذ ذاك هو الوسيط فى الأمور والمرجع الأول فى كل شيء من أخذ وعطاء ومصادرات ومواصفات وبيع وشراء وغير ذلك ، وكان السلطان أكثر ما يختلى به وبعبدوس إذ أختيرا من بين الجمع وإن كان كل مهما يبغض الآخر . أما أصحاب السلطان محمود فقد كان جل ما يصبون إليه هو أن تمر عليهم الأيام بسلام ويقول البيهقى : « ولم أر قط أستاذى أبا نصر فى يوم أكثر حيرة وتفكر وقد أجاب الخواجه أحمد حسن أبا سهل على مشافهته إياه قائلا : أنى قد كبرت ولا أستطيع القيام بهذا العمل أبدا وأبو سهل الحمدوى رجل كفء خبير ينبغى إختياره للعرض وأن تكون لك الوزارة وأما أنا فسأراقب المصالح عن بعد وأشير بما ينبغى »(٢) .

---

(١) البيهقى : ص ١٦٠ - ١٦١ بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ٩٠.

(٢) البيهقى : ص ١٥٨ - ص ١٥٩ .

غير أن أبا سهل كان يدرك مكانته لدى السلطان لذا فقد قال :« إنى لا أتوقع من السلطان ذلك ولست أهلا لهذا العمل إذ لا قيمة لى :« فرد عليه الخواجه : ياسبحان الله ألم تقم بكل تلك الأعمال ، ودبرت شئون الملك منذ أن قابلت السلطان فى دامغان(١) ؟ واليوم وقد اعتلى السلطان سرير الملك وأخذت الأمور تسير على نهج واحد فأنت جدير بأن تكون أقدر من ذى قبل. فأجاب أبو سهل : نعم لقد قمت بكل ذلك إذ لم يكن أحد حاضرًا للخدمة ، أما الآن وقد جاء سيد مثلك (يقصد الميمندى) فأنى لى ولأمثالى الجرأة وأى شأن يكون للذرة مع الشمس وكلنا باطل وقد أتى سيد مثلك بالحقيقة وكفت الأيدى فأجاب الخواجه حسنًا إنا سنفكر فى ذلك . ثم عاد إلى داره(٢).

وفى خلال يومين أو ثلاثة أرسلت إلى أبى الحسن الميمندى بين خمسين وستين من المشافهات بشأن عودته إلى الوزارة ولكنه لم يستجب . وجاء يومًا إلى الحضرة فلما هم بالانصراف استبقاه السلطان واختلى به وسأله لماذا لم يتقبل الخواجه هذا العمل ؟ وهو يعلم أنه منا بمنزلة الوالد وأن أمامنا مهامًا عظيمة فلا ينبغى أن يبخل علينا بتدبيره وكفايته فأجاب الخواجه إنى عبد مطيع وأنا مدين بالحياة بعد قضاء الله تعالى لفضل مولاى السلطان، ولكنى أصبحت شيخًا عاجزًا عن العمل فضلا عن أنى قد نذرت وأقسمت أيمانًا مغلظة ألا أقوم بأى عمل وقد أصابنى نصب كثير فقال السلطان : أنا سنكفر عن يمينك فلا تصرن على الامتناع أكثر من هذا .

ولما كان من غير اللائق أن يرد الميمندى دعوة السلطان لتولى الوزارة فقد رد قائلاً : إن كان ولابد من القبول فليأذن مولاى ليجلس عبده بالإيوان ويرسل ما يعن له من مشافهة على لسان ثقة إلى المجلس العالى ويسمع

---

(١) دامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور وهو قصبة قومس .ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ٢ ص ٤٣٣ دار أحياء التراث العربى – بيروت .

(٢) البيهقى : ص ١٥٩ .

الجواب ، ثم أقوم بالأمر حسب الأمر العالى فقال السلطان حسنـًا وأى ثقة تختار ؟ فرد الخواجة : إن أباسهل الزوزنى قائم الآن بالعمل فلعله من الصواب أن يتقدم أيضـًا أبو نصر مشكان فإنه رجل صدق فضلاً عن أنه كان يحمل مشافهاتى فيما سبق فقال السلطان : حسنـًا جداً . وذهب الخواجه إلى ديوان الرسائل وجلسوا هناك مختلين(١).

ويعلق البيهقى على ذلك بقوله : « سمعت الخواجه أبا نصر مشكان يقول كنت قد هممت بالذهاب فأجلسنى قائلا لا تذهب ينبغى بقاؤك لحمل مشافهة إلى السلطان فإنه لا يدعنى حتى انتحى زاوية إذ أن ما بقى من أيام حياتى إنابة إلى الله لا أوقات وزارة » . فقلت (أى أبا نصر) أدام الله حياة سيدنا إن ما رآه السلطان هو الأصوب ويستحسن ذلك العبيد ، ومن المسلم به أن قيام السيد بهذا الأمر يسبب له تعبـًا ولكن المهام كثيرة وانجازها لا يمكن بغير حسن تدبير الخواجه وسداد رأيه » . فقال : إنه لكذلك ولكنى أرى ثمة وزراء عديدين لايخفى عليك أمرهم فاجبت : نعم يوجد من على هذه الشاكلة ولكن لا مفر من الطاعة ، ثم قلت وما شأنى فى هذه الأمور ؟ إن فى أبى سهل الكفاية وقد اتعبنى أمره وأعجزنى فإنى أفكر فى حيلة اعتزل بها فأجابنى لا تفكر فى‌هذا فإنى اعتمد عليك فأديت واجب الاحترام»(٢).

لم يلبث أبو سهل أن جاء بمشافهة من السلطان يقول فيها : لقد عانى الخواجه أيام أبينا شتى المحن والآلام واحتمل اللوم الكثير ومن العجب أنهم أبقوه حيا فصار بقاؤه ذخيرة لعهدنا فينبغى أن يقوم بهذا الأمر فإن فى ذلك تقديراً لحقك وسوف يأتمر بأمرك الكتاب والأعوان فتستقر وتنتظم الأمور فرد الخواجه قائلا : كنت قد نذرت إلا أقوم بأى خدمة ولكن السلطان قد تفضل

---

(١) البيهقى : ص١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) البيهقى : ص ١٥٩ - ١٦٠ .

فقال ساكفر عن اليمين وقد آثرت الطاعة إلا أن هناك شروطـًا لهذا العمل لـو أن العبد طلبهـا جميعـًا وأمـر السلطان بهـا . خـرج علـى كـل هـؤلاء الخـدم وعادونى وأخذوا فى تلك الألاعيب التى حاكوها فـى عهـد السلطان المـاضى (محمود الغزنوى) فيوقعونى بذلك فى محنة خطيرة . وأنـا الآن أعيـش هانئـًا فارغ القلـب إذ ليـس ثمـة أى خصـم أو عـدو وإن غضضـت النظـر عـن تلـك الشروط وقمت بالعمل بدونها أمسى خائنـًا وينسب إلى العجز وأكون مسئولا أمـام اللـه تعـالى وأمـام السـلطان كذلـك فـإذا وجـب علـى العمـل فـالتمس منـه الموافقة على الشـروط جميعـًا فـإن أقرهـا ومكننـى منهـا قمـت بـأداء الخدمـة والنصح كما يقضى الواجب([1]) .

ويمضى أبو نصر مشكان فى حديثه قائلا : وذهب كلانا أبو نصر وأبـو سهل لتبليغ السلطان قوله : وقد قلت ونحن فى الطريق لأبى سـهل : بمـا أنـك الواسطة فى هذا الأمر فأى فائدة من وجودى ؟ فأجاب أن الخواجة هـو الـذى أرادك فلعله لا يعتمد على ، ولكنى رأيته ممتعضـًا لوجـودى ، وعنـد مثولنـا لدى الحضرة راعيت جانب الأدب ليبدأ أبو سـهل فـى الحديث فلمـا أخـذ فيـه اتجه السلطان إلى وطلب منى الكلام فضاقت نفس أبى سهل حرجـًا وشـرحت المشافهة تمامـًا . فقال السلطان : إنى سأعهد إليـه بجميـع الأمـور عـدا اللهـو والشراب والصولجان والحرب ، هذا وستجرى الأعمال فـى الأشـياء الأخـرى بأمره وتدبيره ولن يكون من قبلنا أى اعتراض على رأيه ونظره .

ويواصل أبو نصر حديثة قائلا : وعدت وأبلغت الجـواب ، بيد أن أبـا سهل بقى متألما رغم أنى كنت أقدمه فى كل شىء ولكن مـا الحيلـة وقـد كـان السلطان والخواجه كلاهمـا لا ينفكـان عنـى وأجـاب بالسمع والطاعـة قـائلا : سوف أرى رأيى وأكتب شروطـًا لتعـرض علـى الـرأى العـالى([2]) زاده اللـه

([1]) البيهقى : ص ١٦٠ – ص ١٦١ .

([2]) البيهقى : ص ١٦١ وهى ما تعرف الآن بخطة الوزارة .

علوا حتى يجيب عليها بخطه ويؤكدها بتوقيعه ، فيدار هذا العمل كما كان فى عهد السلطان الماضى (محمود الغزنوى) وأنت تعلم كيف استقامت الأمور فى ذلك العهد يا أبا نصر(١).

ويستطرد أبو نصر قائلا : فذهبنا إلى السلطان وبلغنا مقالة الخواجة فقال : « حسنًا يجب أن ينتهى الخواجه غداً من تمهيد الأعمال حتى يرتدى الخلعة بعد غد » فأجبنا « نعم وسنبلغه ذلك وانصرفنا ، فنا دانى السلطان أنا أبا نصر قائلا : عد إلينا بعد ذهاب الخواجه ، فإن لنا حديثًا معك فقلت سمعًا وطاعة ، ودنوت من الخواجه وأخبرته بما كان ، ثم ذهب أبو سهل وبقيت أنا الخواجه فقلت : أدام الله حياة مولاى ، لقد أبلغت أبا سهل أثنا الطريق فى أول مشافهة حملناها أن ليس لى شأن فى هذه الأمور مع وساطتك بالفعل فأجابنى إنما دعاك الخواجه فلعله لا يثق بى فقال الخواجه : نعم أردت أن يكون الواسطة بينى وبين السلطان رجلاً مسلمًا لا يحرف الكلام ولا يكذب على عارفًا بما ينبغى ، وهذا المغرور وزملاؤه يحسبون أنى إذا قمت بأعباء الوزراة ستذهب عنهم وزارتهم تلك المقنعة ولسوف أدق عنقه أولا حتى ينخلع روحه وكبده فيكف عن طلب الوزارة وكذلك سأفعل بالآخرين . وأنى لعلى علم بأنه لن يستطيع صبرا وسيضيق بهذا الأمر ولقد فتح هذا السلطان الطريق لعرشه أمام كثير من الأذناب وزاد فى جرأتهم وسأقوم بما يجب من النصح والإرشاد حتى أرى ماذا يكون ثم انصرف(٢).

يقول أبو نصر : فذهبت إلى السلطان فسألنى : ماذا يريد الخواجه أن يكتب؟ فأجبت : لقد جرت العادة إذا أرادوا أن يستوزروا عظيمًا بأن يكتب ذلك الوزير شروط عمله ويجيب عليها السلطان بخطه ويوقعها ويطلب فى آخرها إلى الله عز ذكره أن يرعى الوزير وليذيلها بخطه ويشهد على نفسه

---

(١) البيهقى ص ١٦١ .

(٢) نفسه : ص ١٦١ – ص ١٦٢

أنه سيعمل بموجبها فقال : إذا كتب ما ينبغى كتابته فى جواب تلك الشروط وكذلك صيغة القسم حتى يتم غدا هذا الأمر ويرتدى الخواجه الخلعة بعد غد لأن الأمور كلها متوقفة فقلت سمعًا وطاعة(١) .

انصرف أبو نصر مشكان وأعد نسخ الشروط واختلى به السلطان عند صلاة العصر ووقف عليها جميعـًا فأعجبته ، ثم جاء الميمندى فى اليوم التالى بعد الاستقبال وجلس فى الايوان مختليًا بعد أن انتهى الاستقبال وقدم أبو نصر وأبو سهل للسلطان الشروط فطلب المحبرة والقرطاس وكتب بخطه جواب الشروط واحداً بعد الآخر ثم وقعها وكتب تحتها اليمين ، وجاؤابها إلى الخواجه فلما قرأ الأجوبة نهض وقبل الأرض ودنا من السرير وقبل يد السلطان ثم عاد وجلس مكانه وقدم أبو نصر وأبو سهل صيغة القسم له وأجراها على لسانه ثم وقعها بخطه وأشهد أبا نصر وأبا سهل على نفسه ، وقد تلطف السلطان معه إزاء ذلك القسم ووعده بالحسنى وقبل الخواجه الأرض فقال السلطان : « عد إلينا غداً لنخلع عليك فإن الأمور متوقفة وأمامنا مهام كثيرة ينبغى إنجازها فقال الخواجه «سمعـًا وطاعة » . وحملوا الشروط وأودعوا كتاب القسم الدوات خانة(٢) .

ويشير البيهقى إلى النتائج التى ترتبت على عودة أبى الحسن الميمندى إلى الوزارة بقوله : « أيقن الجميع أن أمر الوزارة قد استتب فاستحوذ الخوف على القلوب إذ ليس القائم بأمر الوزارة رجلا صغيراً ولاسيما قلوب من كانت لهم سوابق فى إيذاء الخواجه (الميمندى) ، أما أبو سهل الزوزنى فقد غلبه هوى لم يكن أشد منه وكان يتظاهر أمام الناس بأن هذه الوزارة إنما كانت له وأنه هو الذى استقدم الخواجه ، وكان العقلاء يعرفون أن الأمر ليس كما

---

(١) نفسه : ص ١٦٢

(٢) البيهقى : ص ١٦٢ - ١٦٣ .

يقول فإن السلطان مسعود كان أعظم وأدهى وأكثر إدراكا من أن يرى الخواجه أحمد حسن أمامه ويقلد الوزارة غيره من الناس وهو الذى كان يعرف قدر كل شخص ومنزلته ومدى اقتداره على العمل والدليل الواضح على قولى أن السلطان كان يقول بعد وفاة الخواجه أحمد فى هراة لا يليق لمنصب الوزارة إلا الخواجة أحمد عبد الصمد رغم وجود تلك الجماعة(١) .

أبو نصر مشكان يزيل شك السلطان مسعود تجاه الوزير أحمد ابن عبد الصمد:

تولى الوزارة بعد وفاة أبى الحسن الميمندى الوزير أحمد بن عبد الصمد وقد بدأ هذا الوزير حياته كاتبا لحاجب السلطان محمود الغزنوى «التونتاش» وحينما أسندت إلى ذلك الحاجب أمارة خوارزم سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ – ١٠٢١م وارتفع شأن أحمد عبد الصمد اتخذه الأمير التونتاش وزيرا له(٢) وأبدى خلال تلك المدة براعة ومقدرة جعلته محل إعجاب السلطان محمود وتقدير كبار رجال الدولة الغزنوية . وعندما عزل السلطان محمود وزيره الميمندى أسند الوزارة إلى حاجبه التونتاش حاكم خوارزم وبعد أن ولى السلطان مسعود السلطنة أعاد الميمندى إلى الوزارة ولما توفى سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢ – ١٠٣٣م أختار أحمد ابن عبد الصمد ليكون وزير له(٣).

جمع الوزير أحمد عبد الصمد إلى جانب فضله وأدبه شجاعة واحترامًا وقاد الجند وشهد حروبًا إلى جانب عمله فى الوزارة فلما ازداد خطر السلاجقة سار إليهم الوزير أحمد عبد الصمد واشتبك معهم فىعدة معارك وكان لا يألوا

---

(١) نفسه ص ١٦٣ . لم يزل الميمندى فى الوزارة حتى وافته المنية سنة ٤٢٤هـ وقد مدحه السلطان مسعود حينما نعى إليه خبر وفاته قائلا : « لقد كان أحمد وحيد عصره وقل أن يوجد مثله » البيهقى ص ٣٧١ ، ص ٣٨٧ .

(٢) العتبى : تاريخ اليمينى جـ ٢ ص ٦١ ، ص ٦٢ ، ص ٦٤ .

(٣) بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ٩٢.

جهداً(١) فى نصح السلطان مسعود بعدم السفر إلى الهند حين كان الخطر السلجوقى يهدد الدولة الغزنوية وأشار عليه بالمسير إلى بلخ إلى أن يتيسر له التوجه إلى مرو(٢) .

وعلى الرغم من علو مكانة الوزير أحمد بن عبد الصمد فإن السلطان أساء الظن به تحت تأثير أعدائه الذين أبلغوا السلطان أن وزيره مهد لمجىء السلاجقة إلى خراسان وقد تعجب الوزير من سوء ظن السلطان به وتدخل أبو نصر مشكان فى هذا الموضوع وتمكن من إزالة شك السلطان فى ولائه(٣) ويشير البيهقى إلى ذلك بقوله : « والطريف حقًا أن السلطان قد أساء الظن بالأستاذ الرئيس أحمد عبد الصمد مع ما أدى من جليل خدمات ومع ما دبر من خطط سديدة أدت إلى قتل المخذول هرون : ذلك أنه قر فى نفس السلطان أن سبب عصيان هرون هو عبد الجبار ابن الأستاذ الرئيس ، كما صوروا له أن للوزير حديثا (اتصالا) مع الأعداء أراد منه التمهيد لمجىء السلاجقة إلى خراسان(٤) .

---

(1) Lane poole : Medival imdia under the Muhamedan Rule. p. 45 (Newyork 1963)

(٢) البيهقى ص ٥٧٦ – ص ٥٧٧ ويذكر ص ٥٧٨ أن السلطان مسعود لم يستجب لنصح الوزير وسافر إلى الهند وأنابه فى إدارة الأمور أثناء غيابه.

(٣) البيهقى : ص٥١١ – ٥١٢ .

(٤) البيهقى ص٥١١فقد قتل عبد الجبار ابن الوزير فى خوارز على يد شك الخادم ذلك أن عبد الجبار كان قد أسرع بالخروج من مخبئه ساعة قتل هرون فاقتطى فيلا وأقبل على ميدان سراى الإمارة وقد هرب خندان بن خوارز مشاه مع شكر الخادم وبعض الغلمان ومن سوء الصدف أن جاء شكر الخادم مع بضعة غلمان لغمل ما فى الميدان فكانت مقابلة مفاجئة بينه وبين عبد الجبار ، وقد سبه عبد الجبار فأمر شكر الغلمان برميه بالسهام فطعنوه بالسهام والبلط وقتلوه وولديه له وابن عمه . البيهقى ص٥٠٧ ص٥٠٨.

- أبو نصر مشكان وكبير الحجاب على قريب :

يذكر البيهقى أنه لما توفى السلطان محمود الغزنوى كان الأمير مسعود النجل الأكبر وولى عهد السلطان محمود الغازى بن سبكتكين بعيدًا عن عاصمة الملك فقد كان إذا ذاك فى أصفهان يريد الرحيل إلى همذان وبغداد فاتفق أمناء الملك وكبار رجال الدولة أمثال كبير الحجاب على قريب وأخى السلطان المتوفى عضد الدولة الأمير يعقوب يوسف بن ناصر الدين سبكتكين وكان السباهسلار والوزير الأمير حسن المشهور بحسنك وصاحب ديوان الرسائل أبو نصر مشكان وصاحب ديوان العرض أبى القاسم وسالار غلمان السراى بكتغدى وأبى النجم إياز وعلى دايه وهما من أقرباء السلطان المتوفى رأى هؤلاء وجماعة أخرى من العظماء والكبراء أن الخير فى أن ينتهزوا الفرصة الساعة وأن يدعو الأمير أبا أحمد محمد وأن يجلسوه على عرش والده على أن يتولى كبير الحجاب أعظم أمناء الدولة الأمير على قريب تدبير شئون الملك فى خدمته .

فلما انتهى إلى الأمير مسعود ، بأصفهان ، نبأ وفاة والده وخبر تنصيب أخيه تحول مسعود عن بغداد إلى غزنة فسار من أصفهان إلى الرى ومنها إلى نيسابور ثم إلى هراة ووصلت أنباء ذلك إلى أسماع الأمناء والقادة فاستصوب الأمير على والعظماء الرأى باعتقال الأمير محمد بقلعة كوهتيز بتكيناباد(١) . على أن يرسلوا إلى الأمير مسعود كتابا مع أخى كبير الحجاب، منكيتراك ، وأبى بكر الحصيرى(٢) يتضمن الاعتذار عما جرى لأنه كان لصالح الدولة(٣) .

---

(١) البيهقى : ص١ - ٢ وتكيناباد : مدينة كانت بموضع قندهار الحالية فى أفغانستان .

(٢) الذى كان نديما للسلطان محمود الغزنوى البيهقى ص٢ .

(٣) البيهقى : ص٢ .

وبعد القبض على « حسنك »(١) الوزير أمر السلطان بأن يحمل ليلاً إلى هراة وكان « حسنك » هذا قد أتى به ثلاثة نفر من خاصة فرسان أبى سهل الزوزنى الذى كان متحاملاً على « حسنك » هذا ، وكان أبو نصر مشكان صاحب ديوان الرسائل قد سارع بالمسير كذلك ، ولكنه قابل كبير الحجاب عليا قبل رحيله ومكث معه يتحدث ساعات ، وكانت تبدو على كبير الحجاب إمارات الخوف والارتياب فقد سمعت (أى أنا أبوالفضل) أبا نصر مشكان يقول: « إننى عندما قصدت السفر إلى هراة سألت الحاجب هل تأمر بعمل أؤدبه بهراة قبل وصولك إليها فأختلى بى ثم رد على قائلاً : « وداعا أيها الصديق لقد قضينا معا مدة مديدة معا ، فى وفاق واخلاص فقلت له : « ماذا دها الحاجب حتى أراه على هذه الحال من اليأس والقنوط فيتكلم هكذا ؟ فقال : « على الصدق والوفاء ولم يحدث منى خيانة وانحراف وأما قوله لك الآن سر فى أمان الله ، فلم يكن لأنى أزمعت على التوانى عن السفر إلى هراة ، ولكن سر فى أمان الله ولنعلم أنك لن ترانى بعد أن تقع عين مسعود على ، وأما هذه الرسائل اللطيفة والخطابات الرقيقة وما كتبه السلطان بخط يده وإنعامه بمنصب الحجابة على أخى فكل ذلك خداع لا يخفى شىء منه على رجل مثلى ، وهى كلها حبائل لصيدى ، فإن على داية بهراة وكذلك الحاجب بلكاتكين وجماعة أخرون لا يعدون من الرجال ولا يحسبون بين النساء وكل هؤلاء القوم سيلحقون بالسلطان أيضًا ويحملونه على أقصاء

---

(١) تعرض حسنك وزيز السلطان محمود وأحد أعمدة الدولة فى عهده لمكائد رجال دولة مسعود الذين استطاعوا أن يبعدوا بين السلطان وبين الوزير حسنك وذلك عن طريق إصدار الشائعات بأن هذا الوزير ذا ميول قرمطية وتمكنوا من أقناع السلطان بقتل هذا الوزير مجهول : تاريخ سيستان ص٢٦١ تصحيح ملك الشعراء بهار بهمت محمد رمضانى إيران ١٣٥هـ ، البيهقى : ص١٩٤ .

Bosworthe : the imperial policy. p. 6.

الحاجب على من الميدان ، وقد أسندت السبهسالارية(١) إلى غازى الحاجب(٢) ويقال أنه صاحب الأمر كله فكيف يتحمل أن يرانى ، ومن السهل على أن أجمع هذه الخزائن والفيلة وفوجًا قويًا من الهنود ، وأجهز كل شيء وما أملكه من الغلمان الكثيرين والاتباع والحاشية وأقصد سجستان فإنه يمكن ضبط كرمان والأهواز حتى بغداد بهذا الجند إذ ليس فيها إلا جماعة من الهمج لا حول لهم ولا قوة ولا سند ولا عمد فآمن بذلك على نفسى)(٣) .

وأما الوحشة المستولية على قلب هذه الأسرة فلن تزول لأنى السبب فيها وملوك الأطراف يسندون هذه العيوب كلها إلى مولاى السلطان محمود فيقولون : « ملك مثله عمر طويلاً وقهر ملوك الأرض جميعًا ، لم يفكر فى تدبير شئون أسرته قبل حلول أجله ، حتى وقعت هذه الأحداث » وأنى أتمنى أن يعتقلونى فى زاوية أعيش فيها فى عزلة وانفراد فأدعو الله ليغفر لى ما أرتكبته من الخطايا والذنوب الكثيرة ولكنى على يقين من أن هؤلاء الصعاليك لن يتركوا ابن مولاى ليبقنى حيا لأنهم يخشوننى وسيطمع هو أيضًا فيما لدى من هذا المال والحطام فيسيء إلى سمعته(٤) .

ويحاول على قريب أن يجد مبرر لخطئه فيقول : « ولقد ارتكبت فى بادئ الأمر خطأ كبير عند وفاة سيدى وقد عرفت اليوم ولات حين مناص ،

(١) البيهقى ص٥٠ -٥١ والسبهسالارية وهى قيادة الجيش وقد تركزت قيادة الجيش فى الأسرة الحاكمة أول الأمر فلما قدم الأمير محمد بن السلطان محمود إلى غزنة وولى الملك أسند سبهسالارية الجيش إلى عمه الأمير يوسف بن ناصر الدين ثم لم تلبث قيادة الجيش أن انتقلت إلى الحجاب .

(٢) علت مكانه غازى الحاجب الذى كان يقلد منصب السبهسالار فكان إذا دخل القصر يأمر السطان مسعود اثنين من الحجاب باستقباله من وسط السراى. البيهقى ص١٥٠-١٥١ .

(٣) البيهقى : ص٥١ .

(٤) البيهقى : ص٥١ - ٥٢ .

ماذا كان من إحضار محمد وأخيه ، وكان لزاما على ترك الحبل على الغارب حتى يحضر أولاد السلطان ، ويتفاوضوا ، ويتوسط الوالى والحشم بينهم ، وأنا واحد منهم ، فكانوا يرجعون إلى رأى ويستقر الأمر ولكن لم أفعل ذلك بل كنت كالظئر التى تدعى أنها أحرص على سلامة الوليد من أمه فشمرت للأمر وقد خذلنى اليوم جميع الرفاق ، خذلونى ونجوا بأنفسهم وسمونى عليا الأمير وجرى القدر بما شاء وأنا لا انتصل من حكم ربى ومشيئته ولكنى لن أقبل سوء السمعة لنفسى بأى حال»(١).

قال أبو نصر مشكان : « أطال الله حياة الأمير كبير الحجاب ، لن يكون غير الخير والبركة فماذا ترى أن أفعل والحالة هذه بعد وصولى إلى هراة » . فقال : «لا تذكر شيئا عما حدثتك به لأنه سيتأكد إنى قد أرتبت فيه ، وإنى قد تكلمت معك فى هذه الأبواب فتضاربها ولا ينالنى خيرًا منها ، فإذا جرى حديث وأظنه لن يجرى قبل أن أقع فى قبضتهم فجدير بك أن ترعى الصحبة والخبز والملح حتى ترى ما يكون وكذلك يجب أن تعلم أن الأمور قد تحولت إلى وجهة أخرى فإنك عند وصولك إلى هراة سوف تعتريك الحيرة من أمرك ستشاهد عيانا أن قوما حديثى النعمة قد آلت إليهم الأمور حتى أصبح أصحاب محمود فى حكم الخونة والغرباء، ولا غرو فإن أبا سهل الزوزنى قد أصبح المرجع الأول فى كل أمر فتحكم فى الرقاب وملك ناصية الأمور وستسير الأحوال مع السلطان مسعود على هذا المنوال ما لم يستح ذلك السطان وإلا فأنتم على شفا جرف هار»(٢) .

قال هذا وبكى ثم احتضننى وودعنى وسرت . وأقول (أنا أبوالفضل) إنه قلما يوجد رجل كعلى ، وكأن ما ذكره عن نفسه لأستاذى أبى نصر مشكان يدل على أنه كان يرى بثاقب نظره ما ستئول إليه الأحوال »(٣) .

---

(١) البيهقى : ص٥٢ .

(٢) البيهقى : ص٥٢ - ٥٣ .

(٣) نفسه ص٥٣ .

فقد سمعت بعد أن قبضوا عليه فى هراة ، وانتهت أيامه بمدة طويلة إنه عند مسيره من تكيناباد إلى السلطان مسعود بهراة كان قد كتب خطابا بواسطة كتخداه([1]) ومعتمدة فى غزنة إلى رجل يدعى « سيستى » وإلى ابنه محسن وهو الآن حى يرزق وقد جاء فى هذا الخطاب بخط على « إننى ذاهب إلى هراة وأظن أن لقاءنا وإياك سيكون يوم القيامة ، ولذلك لا أجد الآن باعثا على توجهك فى أى أمر من الأمور ، فإذا تم بفضل الله تعالى خلاف ما أتوقع فسأنبئك بما يجب العمل به فى كل شأن من الشئون ، وقد سمعت هذا من كاتبه أبى سعيد بعد وفاة على»([2]) .

أبو نصر مشكان وبراعته فى تحرى الأخبار :

يقول البيهقى : « بينت قبل ذلك ما أتخذه كبير الحجاب (على قريب) من احتياط بشأن الأمير محمد عند سفره من تكيناباد إلى هراة ، وذلك بناء على الأمر العالى الذى وصل من السلطان مسعود وتعيين الحاجب «بكتكين»([3]) وما ترتب على ذلك من خيروشر مما سبب الوقيعة بالحاجب المذكور فى هراة .

ويمضى البيهقى فى حديثه بقوله : « والآن بعد أن انتهينا من سرد ما حدث من إيفاد الجيوش إلى هراة وما نكب به الحاجب على قريب والأعمال الأخرى ووصلنا إلى ذكر ما حدث بعد ذلك من ارتحال السلطان مسعود من هراة إلى بلخ. وأذكر بقية أحوال هذا الأمير المعتقل وما حدث فى تلك الأيام من حركة الجند من تكيناباد صوب هراة ونقله من قلعة كوهتيز إلى قلعة منديش([4]) .

---

(١) البيهقى : ص٥٣ . الكتخدا : وكانت تسند إليه الشئون الخاصة لمن يلحق به .

(٢) البيهقى : ص٥٣ .

(٣) صاحب الصولجان المحمودى ، تولى منصب السبهسالار ، وكانت له كوتوالية (حراسة قلعة) ترمذ . وقد قتل فى عصر السلطان مسعود .

(٤) البيهقى ص٧٠ .

يقول البيهقى : «سمعت من الأستاذ عبد الرحمن القوال[1] يقول أنه بعد أن سار الجيش من تكيناباد إلى هراة بقيت أنا وباقى الخدم الخاصة بالأمير كأسماك أخرجت من الماء إلى اليابسة وكنا كمن نهبوا وأصبحوا معوزين ولم يرض ضميرنا أن نبتعد عن قلعة كوهتيز ، وكنا نؤمل أن يستدعى السلطان مسعود الأمير محمد إلى هراة فتنكشف الغمة وكنا نذهب كل يوم حسب العادة أنا وزملائى من المطربين والقوالين ومن شاخ من الندماء إلى الخدمة فنتناول شيئًا هناك ونعود وقت صلاة العشاء ، وكان الحاجب « بكتكين » رغم تشديده الحراسة القوية على القلعة لا يمنع أحد مناء بل كان يزداد عطفا ورفقا فكان يبذل قصارى جهده لإعداد كل ما يطلبه الأمير محمد فى الحال ، ولو كان من قبيل لبن الدجاج[2] مثلاً ، وأذكر أننا جلسنا يوما فى أعلى مكان من القلعة الخضراء للشراب وكنا جلوسا فى حضرته (أى الحاجب بكتكين) فتراءى إلينا مثار نقع من بعيد فقال الأمير : ماذا يمكن أن يكون وراء هذا الغبار يا ترى فقالوا : لا نستطيع أن نتبين حقيقته فقال لأحد ثقاته : « انزل على عجل وانظر ما هذا الغبار فسار مسرعا وعاد بعد مدة ودنا من الأمير وهمس فى أذنه فقال الأمير : « الحمد لله وسر سرورا بالغا ظهرت آثاره على أساريره فظننا أن هنالك نبأ عظيما لكننا لم نجرؤ على السؤال ، ولما دنا وقت صلاة العشاء عدنا فنادانى الأمير من الجماعة وأدنانى إليه وقال : « إن أبا بكر الكاتب قد سار بالسلامة إلى كرمسير (مكران وسجستان) ليذهب عن طريق كرمان إلى العراق ومكة ، وقد ارتاح خاطرى من أجله لأنه نجا

(١) يراد بهذه الكلمة « المغنى والمطرب » وتستعمل الآن فى الفارسية بهذا المعنى فى بعض نواحى إيران . البيهقى : ص٧٠ هامش (١) .

(٢) يقال فى الأمثال المصرية « لبن العصفور » كناية عن الندرة والقدرة على إنجاز المعجز من الأعمال . البيهقى : ص٧٠ هامش (٢) .

من حبائل هؤلاء الطغاة ولا سيما من أبى سهل الزوزنى الذى يتعطش لدمه، فقلت الحمد لله الذى أراح قلب الأمير بهذه البشرى(١) .

وبعد أيام وفد قرب صلاة العشاء نفر من الجمازة (السعاة المسرعون) من هراة إلى بكتكين الحاجب فأخبروا بذلك الأمير ، فأرسل أبا نصر (مشكان) الطبيب الذى كان من جملة الندماء إلى بكتكين ليقول سمعت بوصول مجمز من هراة فما خبره ؟ فأجاب بكتكين إنه خبر إن السلطان قد أمر بالقيام بأمور أخرى.

وفاة أبو نصر مشكان :

بقى أبو نصر مشكان فى خدمة السلطان مسعود مخلصًا وأمينًا حتى توفى فى المحرم سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩ - ١٠٤٠م(٢) وترك ديوان الرسائل فارغا من ذوى الكفاءة(٣) فنصب السلطان « أبا سهل الزوزنى» مكانه(٤) .

أبو سهل الزوزنى يتولى رئاسة ديوان الرسائل :

كان أبو سهل الزوزنى فى مقدمة حاشية الأمير شهاب الدولة أيام كان فى هراة ، ولكنه كان يأخذ الناس بالشدة ويقسو عليهم ويسىء إليهم ، ولكنه استقدم أيام السلطان محمود إلى غزنة وقتئذ ، وسجن فى القلعة لوشاية رجال

---

(١) البيهقى : ص ٧١ .

(٢) أصيب بالفالج (شكل نصفى) وتوفى فى اليوم التالى بالسكتة القلبية . بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنونيين ص١١٤ .

(٣) وصدق فيه قول الشاعر أبى القاسم الإسكافى :

ألم تر ديوان الرسائل عطلت ... بفقدانه أقلامه ودفاتره

البيهقى : ص٦٥٨ .

(٤) البيهقى : ص٦٦١ .

الحاشية الذين كانوا ينفثون على الزوزنى مكانته من الأمير مسعود ، فكتبوا فى حقه العرائض واتهموه بالخيانة ورموه بسوء المعتقد[1] .

بلغ أبو سهل الزوزنى[2] من الأمير مسعود ما يشبه مرتبة الوزير حتى أصبح الرجل الوحيد الذى يخاطبه فى كل الشئون ، وهكذا ذهبت ريح طاهر (الكاتب) وأبهة الآخرين وازداد الزوزنى رفعة وعظمة حتى آل إليه وحده تصريف الأمور. فقد وقف إلى جوار الأمير مسعود حين أراد أبوه السلطان محمود أن يعزله من ولاية العهد ، وتشاء الإرادة الإلهية أن يموت قبل أن يتم ذلك ويقول أبو سهل :

«لقد أراد أمرًا وأراد الله تعالى أمرًا آخر فترك عرشه والأموال والخزائن وكل ما يملكه لمولانا أما هذه الرقاع (وهى التى جاء بها أمر عزله) فينبغى أن تحفظ حتى يطلع عليها الناس ليعرفوا ما كان يصبوا إليه السلطان الماضى وما قضى به ويعرفوا قلب الكاتب ورأيه فقال الأمير (مسعود) ما هذا الكلام إنه إذا جفانا فى آخر حياته مرة كهذه وكانت له فيها غاية فينبغى أن ننظر ألف مصلحة رعاها لنا ، وأنه قد تجاوز عن زلات لنا كثيرة ، وسأفيد اليوم من ذلك اللوم ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، فقد عقمت النساء أن يلدن مثل محمود ، أما كاتبوها (يقصد رقاع عزله) فهم معذورون لأنهم مأمورون ، ولا حيلة للمأمور سوى الطاعة خاصة مع السلطان ونحن مثلاً إذا أمرنا كاتبا بتدوين شىء ولو أدى إلى هلاكه فهل له جرأة على أن لا يكتب » ثم أشار الأمير بإلقاء تلك الخطابات بعد تمزيقها فى

---

(١) البيهقى : ص٢٤ - ٢٥ . ويعلق على ذلك بقوله : « لقد عاشرته ثلاثة عشر عاما أو أربعة عشر وخبرت أحواله فى الصحو والسكر فما سمعت قط منه كلاما يمكن أن يكون دليلاً علىسوء عقيدته .

(٢) كان من ندماء السلطان مسعود وخاصته منذ كان مسعود أميرًا فلما تولى الحكم أكرم الزوزنى ورفع قدره وولاه منصب العارض . البيهقى ص١٦٩ وكان ذلك بناء على طلب من الوزير أحمدحسن الميمندى .

بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص١٠٩ .

الكهريز الكبير[١] . ففى هذا العمل طمأنينة وراحة لنفوس من دبجوا تلك الرقاع ومن كان يراد خطابهم بها على السواء ، إذ أدركوا أنه لن يأخذهم بها[٢].

استقر الأمر بعد وفاة أبى نصر مشكان على أن يتولى أبو سهل الزوزنى ديوان الرسائل فقدم إلى قصر السلطان وجلس فى ركن من الحديقة حتى جاء وقت لبس الخلعة وكانت فاخرة وقد ذهب بخلعته إلى البيت ، ووفد عليه العظماء مهنئين ، وجلس فى الديوان بخلعته يوم الأربعاء الحادى عشر من صفر (٤٣١هـ/١٠٤٠م) وأخذ يباشر عمله ، وكان بعيدًا كل البعد عن هذه الأمور . فبذلت (أى أبو الفضل البيهقى) غاية الجهد لأحفظ له هيبته ومكانته ، ولكنى بعد أن أدركت ما ينطوى عليه من الشر والحمق ورأيت أنه كان يعمل على مخالفة أبى نصر فى كل أمر ، كتبت رقعة للسلطان التمس فيها أعفانى من الكتابة وفقا للرسم المعهود وقلت فيها « كان أبو نصر عمادًا لى فلما مات فى سبيل السلطان تغيرت الأحوال وفقدت ما فى قلبى من قوة ، وأن لدى حق الخدمة القديمة ، وأخاف ألا يتفق سيرى مع أستاذى ، فإنه سئ الخلق ، وأن لدى مولاى أعمالاً أخرى فإذا رأى السلطان فإنى أقوم بعمل منها» وسلمت هذه الرقعة لآغاجي فوصلها للسلطان ثم أعادها وأعلاها كتابة بخط السلطان يقول فيها إذا كان أبو نصر قد مات فإننا مكانه وإنا نعرفك حق المعرفة فلماذا هذا اليأس ؟ فأعاد لى هذا السلطان الحياة والقوة[٣] .

وكانت عظمة هذا السلطان وحسن رعايته لخدامه إلى درجة أنه قال للوزير وهو فى خلوة معه : « قل لأبى سهل إن أبا الفضل ليس تلميذك إنه كان كاتب أبى ومعتمده ، فلترع عشرته وإذا شكوته لى فإنى لن أقبل

---

(١) البيهقى : ص٢٥ – ٢٧ ، ٢٨ والكهريز : قناة تحفر تحت الماء لجلب المياه .

(٢) البيهقى : ص٢٨ .

(٣) البيهقى : ص ٦٦١ ، ٦٦٢ .

شكايتك» فقال الوزير سمعًا وطاعه ثم قال له (أى السلطان) «إنى عهدت إليك بأبى الفضل فأرع مصالحه». وقد أسر لى الوزير بهذا الحديث وشد به عزمى ، فظل أمرى يسير بانتظام وأعزنى أستاذى كثيرا وأحسن معاملتى ما بقى السلطان حيا[١] .

على أنه من الإنصاف لأبى سهل الزوزنى أن نقول أنه لم يكن خلوا من الكفاية التىتؤهله لتولى منصب رئيس ديوان الرسائل فمما يرويه البيهقى عن استقبال رسول الخليفة العباس لتهنئة السلطان مسعود بتوليه السلطنة فاستقبله السلطان بقصر شادياخ وقد وقف غلمان الخاصة والخدمة فى داخل حديقة القصر صفين من أمام صفة التاج حتى الدركاه (البلاط) فى تمام أسلحتهم وملابسهم المختلفة الألوان والأشكال وكانت البغال قد سبقت لحمل الخلعة من نيسابور ومرت بقرب الرسول بينما أرسل أبو سهل رجلاً يطالب بالمنشور والأوامر سرا فطالعها وترجمها ثم أعادها فى خرائط[٢] الديباج الأسود إلى الرسول[٣] .

وحينما وصل موكب الرسول إلى مجلس السلطان ، تقدم إليه وقبل يده ثم أجلسوه قرب السرير وبعد ان استقر به المقام بلغ سلام أمير المؤمنين والحقه بالدعاء الجميل فأجابه الأمير مسعود بما يناسب مكانته الملكية ثم قام الرسول ووضع المنشور والرسالة على السرير فقبلهما الأمير ، ثم أشار إلى أبى سهل الزوزنى ليأخذهما فبدأ يقرأ وما أن جاء ذكر الأمير فى المنشور حتى نهضى واقفًا وقبل بساط السلطان ثم جلس ، ولما فرغ من قراءة المنشور الرسالة ترجم باختصار فصلين منها إلى الفارسية[٤] .

---

(١) نفسه : ص ٦٦٢ .

(٢) الخرائط : أكياس كالحقائب مصنوعة من الجلد . البيهقى ص ٤٥ .

(٣) البيهقى ص ٤٥ .

(٤) البيهقى ص ٤٥ .

وكان أبو سهل الزوزني يقرض الشعر أيضًا فعندما قتل السلطان مسعود في يوم واحد ثمانية من الأسود ، فدار الحديث حول تلك الأسود فأخذ كل يبدى الثناء وطلب الخواجة أبو سهل دواة وقرطاسا ونظم أبيانا من الشعر لطيفة للغاية كعادته فقد كان فريد عصره فى اللغة من الشعر والأدب ، وراقت الأمير تلك الأبيات واستحسنها ومنها :

السيف والرمح والنشاب والوتر ... غنيت عنها وحاكى رأيك القدر

ما إن نهضت لأمر عز مطلبه ... إلا انثنيت وفى أظفارك الظفر

من كان يصطاد فى ركض ثمانية ... من الضراغم هانت عنده البشر

إذا طلعت فلا شمس ولا قمر ... وإذا سمحت فلا بحر ولا مطر(١)

- أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقى نائب رئيس ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود :

ولد فى قرية بيهق فى الجنوب الشرقى لخراسان حوالى سنة ٣٨٥ هـ/ ٩٩٥م(٢) وتوفى فى صفر سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م وقد وكتب عنه ابن فندق وهو يتحدث أعيان بيهق فى كتاب المعروف «بتاريخ بيهق» الذى ألفه بعد وفاة البيهقى بحوالى ثلاث وتسعين سنة(٣) .

عاش البيهقى فى مطلع حياته بنيسابور حيث تعلم علم القرآن والحديث وقرأ الآداب العربية وعاشر أهل العلم والأدب ويشهد كتابه « تاريخ البيهقى»(٤) على سعة إطلاعه وعمق ثقافته وتمكنه من ناحية اللغتين الفارسية

---

(١) البيهقى ص ١٣٣ .

(٢) ذلك لأن البيهقى يقول أنه كان فى الخامسة عشر من عمره سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م وأنه كان فى السادسة عشرة سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١١م .

، تاريخ البيهقى ص ٣٨٠ ، ٢٢٥ .

(٣) كتب ابن فندق كتابه سنة ٥٦٣ هـ/ ١١٦٧ م .

(٤) ترجمة إلى العربية يجى الخشاب وصادق نشأت دار النهضة العربية ١٩٨٢م .

والعربية ويقول ابن فندق إنه استمع إلىكثير من الأحاديث ورواها كما أن له أشعارًا عربية والتحق بالعمل فى ديوان الرسائل كتلميذ لأبى نصرمشكان رئيس ديوان الرسائل أيام محمود الغزنوى ومسعود وكان فى السابعة والعشرين من عمره حينذاك(١) .

وقد حال صغر سن البيهقى دون ارتقائه إلى رياسة ديوان الرسائل بعد وفاة أستاذه أبو نصر ، ونظر فيمن يخلفه فى رياسة الديوان قال السلطان مسعود فى حق البيهقى : « لو لم يكن أبو الفضل شابًا صغيرًا لأسندنا إليه هذا العمل » وتلك الشهادة تدل على مقدرة البيهقى وكفاءته ولما أسندت رياسة الديوان إلى أبى سهل الزوزنى كان ينيب البيهقى عنه فى الديوان لمعرفته بالرسوم السلطانية . فلبث فى منصبه متعاونًا مع أبى سهل الزوزنى ولكن فى رعاية من السلطان والوزير أحمد عبد الصمد . ولعل البيهقى كان يؤثر هذا الوضع فى ذلك الوقت حين يتكلم عن ابى سهل أحمد على الذى كان من أقوى أركان ديوان العرض والذى لم يرق عن مرتبة النيابة أى لم يبلغ رياسة هذا الديوان يقول : « لذلك فهو مستريح هادئ البال ويمضى حياته على الهامش لا يسأل إذا عزل عارض وولى غيره والعاقل من يسير سيرته »(٢).

ويتبين لنا من كتاب البيهقى(٣) أنه رجل سياسى مؤرخ أديب فهو قد اشتغل تلميذا لأبى نصر مشكان رئيس ديوان الرسائل والتلميذ هنا تعنى الوكيل أو النائب وهى فى الاصطلاح الديوانى كانت العمل الذى يسبق

---

(١) يقول أنه عمل مع أبى نصر مشكان تسع عشرة ستة وقد مات هذا سنة ١٤٣١هـ/ ١٠٣٩م انظر البيهقى ص ٦٥٨ .

(٢) انظر ٥٣٦ - ٥٣٧ .

(٣) للبيهقى عدا سفر التاريخ كتب أخرى منها « زينة الكتاب » و « مقامات أبى نصر مشكان » ويذكر مترجما الكتاب عن الأستاذ فياض فى مقدمته أنه رأى فى مكتبة الحاج حسين أنما ملك فى طهران بطبع صفحات فى أدب الانشاء تنسب للبيهقى . البيهقى ص ٦ من المقدمة .

المنصب الأعلى فى اى منصب من المناصب وقد اشتغل مع ابى نصر تسعة عشر عامًا أيام السلطانين «محمود الغزنوى» وابنه « مسعود »(١) .

وقد اتيح للبيهقى أن يعمل فى وقت واحد مع أبى نصر مشكان ومع أبى الحسن الميمندى الذى كان وزيرًا « لمحمود » ثم وزيرًا « لمسعود » ومع أحمد عبد الصمد الذى يعتبر كما يصوره البيهقى - أكبر عقل فى عهد «السلطان مسعود» وقد اتيح للبيهقى أن يكون زميلاً لهؤلاء جميعًا وأن يكون واحدًا منهم فى تصريف شئون الدولة(٢) .

وهذا الاتصال المباشر بسياسة الدولة وهذه المشاركة فى تسيير السياسة بالراى والكتابة وبالمسعى الجميل ، كل هذا أتاح للبيهقى أن يكون رجل سياسة من الطراز الأول يحكم تحرير الرسائل ويحسن فهم معانيها ما ظهر منها وما بطن. ولم يكتف البيهقى فى كتابه بسرد التاريخ سردًا ولكنه يقف حينما يجب التوقف ليبدى رأيه ورأى الوزير ورئيس الديوان ولا يغفل صدى التصرفات التى تصدر فى موضوع معين عند الرأى العام(٣) .

واتيح له أن يضمن كتابه الوثائق الرسمية التى كانت تدخل فى حوزته بوصفه الكاتب المسئول عن نسخها ثم حفظها(٤) . ثم إنه أخذ عن أستاذه رئيس الديوان رسائل كثيرة وضمنها كتابه وهو ينقل عن هذا الرئيس كثيرًا وقد عمد إلى تدوين ما كان يسمع منه أو من الوزير فى حينه حتى لا يأتى النسيان على ما يسمع وحتى يجعل تاريخه كاملاً بقدر الطاقة(٥) .

---

(١) البيهقى ص ٩ من المقدمة .

(٢) البيهقى ص ١٠ من المقدمة .

(٣) البيهقى : نفسه .

(٤) وهكذا ذكرت الرسائل السياسية التى تعتبر من أهم الرسائل السياسية الإسلامية كما يقول المستشرق « كاز يميرسكى » بنصها فى كتابه وذلك فى مقدمته لديوان « منو جهرى » مبديا ثنائه وأعجابه بأسلوب البيهقى . المقدمة ص ٩ ص ١٠ .

(٥) البيهقى ص ١٠ من المقدمة .

ويرى بارتولد صاحب مقال البيهقى فى دائرة المعارف الإسلامية واسبق العلماء افادة من كتاب البيهقى أن تاريخه ليس تاريخًا لدولة أو لبلد بالمعنى المعروف إنما هو حديث رجل سياسى عن حياة الملوك الذين عمل معهم وعما كان يجرى فى الشئون الداخلية والخارجية وبهذا قال البيهقى نفسه ثم يقول بارتولد : « وإذا فلدينا صورة قوية عما يجرى فى البلاط الغزنوى أيام السلطان مسعود وعن طرائق الحكم التى انشأها سبكتكين ومحمود صورة ليس لدينا ما يماثلها عن أى عصر آخر فى القرون الوسطى الإسلامية » . فالبيهقى صادق حين يقول إن هذا التفصيل الذى يتصف به كتابه لا يتوفر فى كتب التاريخ الأخرى فيقول معتذرًا عما يكون قد ورد فى كتابه من الإطالة ، فليس من حادث إلا وهو جدير بأن يقرأ ولا تخلو قصة من عبرة »(١) .

وبلغ من ثقة « أبى نصر مشكان » أنه كان يعتمد على البيهقى فى تحرير بعض المعاملات الهامة ويذكر البيهقى أن بعض هذه الوثائق التى كتبها بخط يده والتى كان يحتفظ بصورة منها قد اتلفوها عمدا وأنه أسف أشد الأسف لضياع تلك الرياض الرضوانية (الرسائل) فقد كانت تجعل من هذا التاريخ سجلاً فريدًا . ثم يقول إنه ليس يائسًا من العثور عليها يوما ما(٢) .

- الشروط الوجب توافرها فى نائب ديوان الرسائل :

وفيما عدا التاريخ الذى كان يستمد مصادره من الوثائق التى فى حوزته أو مما رآه وسمعه من الوزير أو رئيس الديوان أو غيرها يتحدث البيهقى عن أخبار الماضى والوسيلة التى يصل بها المؤرخ إلى تدوينها . والأخبار قسمان: إما أن تسمعها أو تقرأها فى كتاب ويشترط فى السماع أن يكون المتحدث ثقة ويشهد على صحة قوله العقل ويؤيده كلام الله تعالى فقد قيل : «لا تصدق من الأخبار ما لا يستقيم فيه الرأى » وكذلك يكون حكم الكتاب

---

(١) البيهقى ص١١ من المقدمة .

(٢) البيهقى ص ٣١٩ ، ٣٢٣ .

فتكون الأخبار فيه على صورة لا يرد ها العقل ويؤمن بها السامع ويستمع إليها العقلاء ويقبلونها»(١) .

وحسن فهم البيهقى للتاريخ يشهد بدقة فهمه للأوضاع الاجتماعية التى كانت سائدة حينذاك وكان أستاذه أبو نصر مشكان يعد المسودة ويقوم البيهقى بنسخها فيما يختص بكتب ملوك الأطراف والخليفة وخانات تركستان وبكل ماهوهام من أعمال الديوان(٢) .

صلة البيهقى بالسلطان وبالوزيرين الميمندى وعبد الصمد وبرئيسه أبى نصر مشكان :

ورغم الصلة الوثيقة التى ربطت بين البيهقى وهؤلاء فإنه لم يستح من الحق وهو يتحدث عن التاريخ ، فهو مؤرخ بعيد عن الهوى وليست له ميول خاصة تؤثر فى رواياته أوتثنى تفكيره وهو يبدى رأيه إلى اتجاه معين ، لقد حماه السلطان من أبى سهل الزوزنى حين اضطره هذا إلى طلب اعفائه من منصبه وخصه السلطان بثقته وطلب منه النصح فى مواقف عدة ، ومع هذا فإنه لم يتردد فى انتقاد السلطان فى كل موقف كان خطأ السلطان فيه واضحًا، فهو يأخذ عليه انسياقه وراء أبى سهل الزوزنى فى مطالبة الناس بما خلع عليهم الأمير محمد من صلات وأنه نتج عن ذلك سوء السمعة إلى ما لا يمكن وصفه وأن الوزير الميمندى كان يبرأ من إسناد هذا الأمر إلى نصحه وكان يقول إن مسئولية هذا الظلم ترجع للسطان وللعارض الزوزنى . وينتقد السلطان لأنه كان بدوره يبرأ من هذا التصرف ويحيل المسئولية إلى الوزير

---

(١) ص ٧٣٣ ويتحدث البيهقى فى عدة مواضع من كتابه عن روايات استقاها من جماعة يثق فى أقوالهم انظر الصفحات ص ٧٦ ، ص ٤٣٧ ، ص٧٥٧ ، كما أنه يذكر كتبا أخذ عنها مثل كتاب محمود الوراق انظر ص ٢٨٧ وحاشيتها وكتاب المسامرة فى أخبار خوارزم للبيرونى ص٧٣٤ ومقامة الخواجة عبد الغفار من معنى ولاية عهد الأمير مسعود ص ١١٥.

(٢) البيهقى ص ٦٠٥ .

والعارض ثم يقول فى صراحة إن الناس قد يئست قلوبهم وخمدت فى نفوسهم كل تلك الميول والعواطف البالغة التى كانوا يبدونها للسلطان »[١] .

وحين يذكر ما تقرر من مال يجبى من أهل آمل يذكر رأى الوزير الذى يقول إنه يتمنى أن تمتلئ خزائن السلطان بالمال ، ولكن ما طلب من الأمليين كان فوق طاقتهم ويذكر اصرار السلطان على رأيه ويقول بعد أن أنصف الوزير : « إنه لعزيز على أن يجرى قلمى بمثل هذا النقد للسلطان ولكن ما حيلتى فى ذلك والتاريخ لا يعرف المحاباة »[٢] .

وحين قدم سورى صاحب ديوان خراسان هدية هذا الإقليم للسلطان لم يتردد البيهقى فى أن يروى ما قصه عليه أبو منصور المستوفى من أن السلطان حبا فى المال قد أوعز بأن تقوم هذه الهدية سرًا فكانت ألف ألف درهم مرات وأنه قال عن سورى : « يا له من خادم طيب لو كان لنا مثله خادمان أو ثلاثة لحصلنا على فوائد عظيمة » وكان أبو منصور يود أن يقول للسلطان : أولى بنا أن نسأل رعايا خراسان كم من العنت والإرهاق وقع عليهم حتى اكتملت هذه الهدية[٣] .

والحقيقة ما قاله أبو منصور فإن سورى كان رجلاً مشهورًا بالظلم ، فإنه حين اطلقت يده فى خراسان استأصل شأفة أعيانها ورؤسائها واستحوذ على أموال لا تحصى وامتد ظلمه إلى الضعفاء ، وكان يقاسم السلطان ، يعطيه خمسة من كل عشرة دراهم يغتصبها ، أما الأعيان فقد تقطعت بهم الأسباب فكتبوا الرسائل إلى ما وراء النهر واوفدوا رسلهم شاكين الأمراء

---

(١) البيهقى ص ١٣ ، ١٤ من المقدمة .

(٢) نفسه ص ٤٩٤ .

(٣) كانت الهدية تشتمل على خمسمائة حمل من الهدايا احتوت على كثير من الألبسة والطرف وآلات الذهب والفضة والغلمان والجوارى والمسك والكافور والعناب واللآلئ والأدوات المنقوشة والسجاد والمآزر فضلاً عن الماكولات والمشروبات البيهقى ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

الترك كى يغروا التركمان بالغزنويين ، وأما الضعفاء فإنهم بثوا الله آلامهم ، ولم تجرؤ عيون السلطان على أن ينهوا إليه حقيقة ظلم سورى للناس ، وكان السلطان لا يصغى لأحد بشأن سورى ، إنما كان ينظر السلطان إلى تلك الهدايا التى يقدمها له فى إسراف إلى أن ضاعت خراسان بسبب ظلمه وعدوانه(١) .

ومع نقد البيهقى لظلم سورى وعدوانه وضياع خراسان بسببها إلا أنه لا يلبث أن يذكر أن سورى هذا كان رجلاً كريمًا فى الصدقات مؤديًا للصلوات وأن له آثارًا طيبة فى طوس منها التحسينات التى أدخلها على قبر الإمام على بن موسى الرضا وأنه قد بنى فى نيسابور مصلى لم يبن مثله أحد من الأمراء قبله ويقرر بعد ذلك : « أن هذا فى تقديرى ليس شيئًا بجانب ظلم الضعفاء وليس حلالا سرقة الخبز من الجار والتصدق به على الجار لآخر ولا أجر على ذلك»(٢).

وينتقد البيهقى سياسة السلطان محمود والسلطان مسعود فى اختيار العمال والموظفين وأصحاب المناصب الأخرى فيحدثنا البيهقى عن تقليد حسن كان يسير عليه السلطان محمود ذلك أنه كان يربى رجاله بحيث يستخدمون كتلاميذ قبل أن يلو منصب الأستاذية فى المناصب الكبرى(٣) فيذكر البيهقى أن السلطان مسعود ووزيره أحمد حسن الميمندى كانا فى نزاع من أجل تطبيق هذا المبدأ ... وكان الوزير يتشدد فى أن يكون التلميذ الذى يراد رفع مرتبته نابها ، ولكن السلطان حين يميل إلى رفع مرتبة أحد التلاميذ كان يقول : إن من التلاميذ من يكون خامل الرأى ضعيفًا لكنه حين

---

(١) وبعد حدوث هزيمة مسعود فى داندانقان جاء سورى إلى غزنه وولى منصب صاحب الديوان فيها أيام الملك مودود. فاراد أن يتابع سياسته فى خراسان ولكنه لم يستطيع فقد كفت يده ونحى عن العمل وانتهى أمره بأن جعل قائدا لقلعة غزنة .

(٢) البيهقى ص ٤٣٨ .

(٣) البيهقى ص ٤٨٤ .

يصبح أستاذًا ويلى المناصب الرفيعة يتغير سلوكه ويصبح جديرًا بما أوليه من الثقة[١] .

والبيهقى ينبه لهذه القاعدة التى يجب احتذاء سياسة محمود فيها ويقول : «إنى أذكر هذه النقاط فى معنى رعاية الرعية عسى أن تفيد »[٢] .

والذى يبدو من كتاب البيهقى أن النزاع بين المحموديين والمسعوديين كان قد بلغ إلى درجة إفساد أمر الدولة فإن الأدوات التى يحكم بها السلطان هذا الملك الواسع ينبغى أن يحسن اختيارها وعلى هذا الاختيار يتوقف حسن سير السياسة فى الداخل والخارج وقد بلغت الدولة الغزنوية الذروة فى عهد محمود الغزنوى لأنه أحسن اختيار الأدوات التى أدار بها الدولة[٣] .

ويندد البيهقى بالمحدثين والمتملقين الذين اختارهم مسعود ، ويبرز المحاولات التى يبذلها الوزير ورئيس ديوان الرسائل ليحملا السلطان على العناية باختيار هذه الأدوات التى هى عماد الدولة .

ويشيد البيهقى بالسلطان مسعود الذى كان مثلاً للشاب القوى فقد مارس فى صدر شبابه المصارعة وحمل الأحجار الثقيلة والمبارزة وصيد الأسود فضلاً عن انه كان صاحب ذوق رفيع فى رسمه للجوسق المسعودى وإشرافه على بنائه[٤] كل ذلك اكسب مسعود كثيرًا من المزايا ، ولو صاحب هذه ثقة فى ناصحيه ودقة فى اختيار اعوانه وتحرز قليل فى الاعتداد بنفسه

---

(١) البيهقى ص ٤٨٤ .

(٢) نفسه ص ٣٥٦ وكان ذلك عندما رشح السلطان أبا الفتح الرازى للإشراف على المملكة بدلاً من ابى سهل الحمدوى .

(٣) نفسه . ص ٢٠ من المقدمة .

(٤) البيهقى : ص ٥٣٧ ، ص ٥٨٧ .

وترفق بالمحموديين لا تخذ تاريخه لونا آخر ولاستمر عهد أبيه فى التوسع فى الفتح بدلاً من النقصان الذى اعترى الدولة فى عهده(١) .

ورغم إشادة البيهقى بالسلطان مسعود إلا أنه ينتقد انصرافه إلى اللهو والعبث فى ساعات العسرة ولم يتردد فى أن يسجل أنه خسر معركة مرو لأنه تعاطى الأفيون فنام ، فلم يجرؤ أحد على إيقاظه فى الوقت المناسب(٢) .

استمر البيهقى يعمل فى ديوان الرسائل حتى عين رئيسًا فى عهد السلطان عبد الرشيد ين محمود ، ولما ثار طغرل قائد السلطان عبد الرشيد ، وخلع السلطان وسجنه مع أعيان دولته ، بقى البيهقى سجينًا حتى قضى على طغرل ، ثم أطلق سراحه ولم يلبث بعد ذلك أن إعتزل الكتابة إلى الدرس والتحصيل العلمى والتدوين التاريخى(٣) .

كتاب ديوان الرسائل :

كان ديوان الرسائل يضم عدداً من الكتاب ، إذ كان من مهامهم إعداد الصيغ اللازمة لعهود تولية المناصب الكبيرة من وزارة وإمارة أو قضاء وكتابة العهود والمواثيق وتسلم جميع الرسائل الواردة من دواوين الولايات فى مختلف الشئون الداخلية ورفعها فى صورة معينة إلى السلطان(٤) .

فقد جرت العادة إذ أرادوا أن يستوزروا عظيمًا بأن يكتب ذلك الوزير شروط عمله ويجيب عنها السلطان بخطه ويوقعها ويطلب فى آخرها إلى الله

(١) البيهقى : ص ٢٥ من المقدمة .

(٢) البيهقى : ص ٦٦٤ . وعن هذه المعركة انظر : بدر عبد الرحمن محمد . الحياة السياسية ومظاهر الحضارة ص ٢٠٥ وما بعدها .

(٣) البيهقى : ص ٦ ، بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ١١٥

(٤) البيهقى ص ١٦٢ ، ص ٣٢٤ انظر أيضًا

Bosworth: The Garmavids their Empirien A Fganistan and Easterm iran 994 - 1040 p. 93.

عز ذكره أن يرعى الوزير وليذيلها بخطه ويشهد على نفسه أنه سيعمل بموجبها ، وبعد حمل الشروط يودع كتاب القسم « الدوات خانة »[١] .

وكان يراعى فى الكتاب الثقة وسعة الثقافة وجودة الخط[٢] والقدرة على الإيجاز ويطلق على الكاتب فى الديوان لقب « تلميذ » بمعنى موظف كتابى ، وقد زادت أعمال ديوان الرسائل حتى صار موظفوه من الكتاب يتناوبون العمل فيه. وكان الكتاب الناشئون يخدمون فى الديوان بدون أجر فى بداية أمرهم ، فلما تولى السلطان مسعود ، أمر بصرف مكافآت لهم ، كما أمر بصرف مرتبات العاملين فيه بلغت سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م سبعين ألف درهم فى الشهر[٣] .

ومن موظفى ديوان الرسائل « كاتب الديوان » ويختص بترتيب الكتب وتلخصيها ، ثم يراجعها موظف آخر يسمى « المراجع » حيث يتصفح كل ما يكتب فى الديوان قبل عرضه على رئيس الديوان ، ثم ينقل الخطاطون الكتب من المسودة ويبيضونها وتحفظ أصول المكاتبات الرسمية التى تصدرها الحكومة أو التى ترد إلى الديوان لدى الخازن أو « الدوات خانه » وكان يحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل حصرها[٤] .

وكانت تسند إلى بعض كتاب ديوان الرسائل مهام أخرى غير الكتابة فقد كان أبو نصر مشكان صاحب ديوان الرسائل تحت رقابة اثنين من كتابه ، فلما وثق السلطان به أمره باقصائهما لأنهما لا يليقان بديوان الرسائل .

---

(١)البيهقى : ص ١٦٢ - ١٦٣ والدوات خانة يقصد بها ديوان الكتابة .

(٢) البيهقى : ص ١٥٥ ويرد ذلك فى حديث أبو نصر مشكان عن عبيد الله سبط أبى العباس الاسفرائينى بأنه « شاب لبيب يكتب بخط جميل »

(٣) البيهقى ص ١٥٥

(٤) بدر عبد الرحمن : رسوم الغزنويين ص ١١٢ .

يوضح البيهقى ذلك بقوله : « أمر السلطان مسعود أبى نصر مشكان صاحب ديوان الرسائل بإخراج عبيد الله سبط أبى العباس الاسفرائينى ، وأبى الفتح الحاتمى من قائمة العاملين بالديوان فتعجب أبو نصر من ذلك وخاصة أن السلطان مسعود كان قد أمر بنفسه بإدخال أبى الفتح الحاتمى الديوان على عهد السلطان محمود . فأوضح السلطان مسعود ذلك بقوله : نعم إن الأمر كما تقول ولكنهما كانا قد عينا من قبلنا للإشراف على ديوانك سابقًا وهما لا يليقان اليوم بالديوان فأجاب أبو نصر : « يا للغبن العظيم من أن أعرف هذا اليوم ؟ فسأله السلطان : وماذا كنت تفعل لو أنك عرفت قبل ذلك ؟ فأجاب : كنت أقصيهما عن الديوان فور علمى ، فإن الخائن لا يصلح للعمل فيه . فضحك السلطان وقال : ينبغى إلا يعرف بهذا الأمر كيلا يتأثرا بذلك . ولعمرى ما شاهدت فى حياتى أكرم ولا أشفق منه ثم أضاف وسنأمر بما ينبغى ، ولكن ماذا كان يعمل عبيد الله فقال أبو نصر : « صاحب بريد سرخس، كما كان أبو الفتح صاحب بريد طخارستان » وأمر السلطان بالعودة فعاد وفى اليوم التالى كنا جميعًا وقوفًا بين يدى السلطان عندما أذن بالاستقبال فنادى السلطان عبيد الله فخرج من الصف فقال له : « اتعمل فى ديوان الرسائل؟ فأجاب : نعم فسأله : ماذا كان عملك فى عهد أبى ؟ قال : كنت صاحب بريد سرخس فقال السلطان : إنا نعيدك إلى ذلك العمل ثانية . فينبغى أن لا تجلس فى الديوان لكثرة الزحام هنالك ، ولقد كان جدك وأبوك يزاولان هذه الخدمة من قبل وأنت تفيدنا فينبغى أن تكون مع القدماء فنفيد منك فى الوقت المناسب(١) . فقبل عبيد الله الأرض وعاد فى مكانه إلى الصف ثم نادى أبا الفتح الحاتمى فقال السلطان ينبغى أن يكون لبلخ وطخارستان مشرف كفء جدير ، وقد اخترناك لذلك وسيبلغك عبدوس بما ينبغى من أوامرنا فقبل هو الآخر الأرض وعاد إلى مكانه فى الصف ثم قال السلطان لأبى نصر :

---

(١) أى فى الديون .

ينبغى أن يكتب منشوران لهذين حتى نوقعهما فقال : « حسنا » . وانفض الاستقبال وعاد أبو نصر إلى الديوان فحرر المنشورين وإزدانا بالتوقيع وانقطع كلا الرجلين عن العمل فى الديوان وصرفا عن الكتابة ومهامها »([١]).

ومن كتاب ديوان الرسائل طاهر والعراقى([٢]) وأريارق الذى لم يرق أحد من الكتاب فى ذلك العهد إلى منزلته فى الترسل والإنشاء([٣]) . وكان طاهر الكاتب([٤]) لتقدمه يقوم بتدبير كافة مهام الأمور فحينما جاء أعيان الرى يبايعون السلطان مسعود عجزوا عن الافصاح أمامه بمكنون جوانحهم وهم يحجمون عن الجواب لتهيبهم من حضرة السلطان وطلبوا منه أن يأذن لأحد ثقاته ليذهب بهم خارج السرادق حيث يجلس طاهر الكاتب فيسمع الجواب فقال الأمير « حسنا » وذهبوا بأعيان الرى إلى المخيم الكبير حيث كان طاهر الكاتب فجاء طاهر وجلس وحضر أمامه القوم وكانوا قد اتفقوا فما بينهم على ما ينبغى أن يكون جوابهم عليه وقال طاهر : « قد سمعتم ما قال مولانا([٥]) فما جوابكم ؟ » فقالوا : « أمد الله فى حياة الخواجة العميد لقد اتفق العبيد على رأى واحد أنهيناه إلى الخطيب ليبلغ الأمير ما سمعه منا » فقال طاهر : « نعم ما رأيتم وحتى لا يطول الكلام فما الجواب ؟ فقال الخطيب : « إن

---

(١) البيهقى : ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) البيهقى : ص ٩٦ .

(٣) نفسه : ص١٥٨ .

(٤)وكان لمكانة طاهر الكاتب أن كانت توضع أمامه محبرة كبيرة فخمة من الفضة المغلفة بالديباج الأسود .

(٥) البيهقى : ص ٢٠ إذ أخبرهم السلطان أن الأمور مستقرة فى كل النواحى فإذا أنس فيهم النصح والطاعة دون رياء سيقابل ذلك بالعدل والاحسان الشامل إما إذا استبان خلاف ذلك سيلقون جزاء وفاقًا لا يؤاخذنا عليه الله لأن البادى اظلم وفى اصفهان وآمل عبرة لمن يعتبر .

هؤلاء الأعيان والمقدمين زمرة يعمل الناس فى المدينة ونواحيها ، ولو كانوا ألف ألف شخص مرتين بما يقولون ويرسمون ويمتثلون أوامرهم ، وهم يقولون لقد مر على حكم الديالمة الظالمين (بنى بويه) ثلاثون عامًا ، لم يراعوا خلالها فينا إلا ولا ذمة ، درست أثناءها سنن الإسلام ، إذ انتقل الملك بعد رجل كفخر الدولة والصاحب بن عباد إلى يد إمرأة وصبى فاجر[1] فتضرعنا إلى الله تعالى فألهم ملك الإسلام محمود أن يأتى إلى هنا وأغاثنا وانقذنا من القرامطة والمفسدين واستأصل شأفة أولئك العجزة الذين لم يستطيعوا تدبير أمورنا ، وترك هذه الولاية ومضى بعيدًا مفوضًا أمرنا إلى أمير عادل عطوف حازم ومنذ رحل ذلك الملك لم يسترح هذا الأمير يومًا ولم تجف لبد سرجه[2] ، يفتح العالم ويقطع دابر الخارجين والخاملين ، ولو لم تقع هذه الحادثة العظمى أى وفاة والده لكان قد بلغ الآن بغداد واستأصل بقية العاجزين والظالمين ، وأغاث رعايا تلك الأنحاء فذاقوا حلاوة العدل والإحسان والنصفة فى ظل حكمه كما ذقنا والى اليوم وراياته ما تزال تخفق على أصفهان ، كان هذا فى المدينة ، أما فى نواحينا فكان حاجب شحنة بمئتين من الفرسان ولم يجرؤ أحد من بقايا المفسدين على أن يحرك ساكنا ، فلو أراد أحد أن يثير فسادًا أو يأتى إلى هنا ومعه الألف والألفان حتى العشرة آلاف من الجنود لحمل بلا شك شبابنا وأبطالنا الأسلحة وانضموا إلى شحنة السلطان وقطعوا دابر المفسدين وفازوا بنصر الله تعالى ، ولو أن هذا السلطان امن سيره إلى مصر لما تغير حالنا عن هذه الحال ولما عرفنا فرقا بين هاتين الشقتين ، فإذا فرغ مولانا مما أمامه من المهام ، وسرعان ما يفرغ منها فأنها ضئيلة إزاء همته ، فسيعود إلينا هنا بالسعادة واليمن أو سيبعث

---

(١) عن هذا الموضوع راجع كتابنا : الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى ص ١٧٢، ١٧٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٩ / ١٤١٠هـ .

(٢) كناية عن مواصلته الجهاد .

قائدًا، وكما نحن اليوم عبيد مطيعون ، فانا سنكون الغد أكثر عبودية وطاعة، ولن نفرط يومًا فى هذه النعمة العظيمة التى نتمتع بها اليوم ولو أن السلطان نصب علينا يوم اعتزامه الرحيل سوطا([1]) لما تخلفنا عن طاعته»([2]).

وانتهى الخطيب من الكلام قائلاً : « هذا جوابنا الذى أجمعنا عليه » ثم التفت إلى القوم وقال : « هل ترونني أحسنت الإعراب عن رايكم فاجابوه جميعًا: « نعم وإنا لأكثر عبودية مما وصفت » وقال طاهر (الكاتب) : « نعم ما قلتم جزاكم الله خيرًا ، فقد قمتم بحق راعيكم العظيم » . ثم نهض فمشى إلى ألأمير وأخبره بما جرى فأرتاح الأمير إلى ذلك وقال : « يا طاهر إن السعادة حين تقبل تسايرها الأمور من كل الوجوه وهؤلاء القوم جديرون بكل إحسان ، فقد انطوى جوابهم عل الحكمة ، والآن لتبلغ أوامرنا بان يخلع فورًا على القاضى والرئيس والخطيب ونقيب العلويين وقائدهم وسالار المطوعة([3]) . ولتكن خلع الرئيس ونقيب العلويين والقاضى من الذهب والباقين من الطرز الموشاة ، وليتقدموا إلينا بعد إرتداء هذه الخلع ليستمعوا إلى أوامرنا ، ثم أعدهم مع رجال الحاشية بالتجلة والاحترام »([4]) .

فنهض طاهر وانتحى ودعى القائمين بأعمال الخزائن فأعدوا الخلع ثم عاد إلى أعيان الرى فقال لهم : « لقد أبلغت السلطان جوابكم فأعجبه وسر

---

(١) من باب المبالغة وعلى سبيل المثال .

(٢) البيهقى : ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) نفسه : ص ٢١ ، ٢٢ يقول فى النص ما يفيد أنهم ستة من الأعيان ولكنه يذكر فيما بعد أنهم خمسة ورجح غنى – فياض أن كلمة (سالار علويان) زائدة وأنها من سهو النساخ ، ويؤيد هذا أن لقب (سالار علويان) لم يسبق ذكره والمطوعة جماعة تجمع لقتال الكفار وكانوا يكونون جيشًا له سالار خاص يسمى سالار غازيان أوسالار غازى وكان هذا النظام قائمًا أيام الغزنويين .

(٤) نفسه : ص٢٢ .

منه كثيرًا، وأمر لسراتكم والقائمين بالعمل فيكم بالخلع السنية فلتكن مباركة ، هيا بنا باسم الله إلى خزانة الألبسة لتلبسوا الخلع هاتين » .

وذهب العرفاء بخمسة من الأعيان إلى الخزانة والبسوهم الخلع ، ثم عاد بهم طاهر إلى الأمير ، وقدموا جملة من الأعيان ، فلا طفهم الأمير وخاطبهم بالحسنى ، فدعوا له كثيرًا وعادوا يصحبهم رجال الحاشية إلى المدينة فى أبهة فائقة فسر بهم أهل المدينة ونثروا عليهم الدراهم والدنانير الكثيرة ، تعبيرا عن سرورهم بذلك وأعادوا أرباب الرتب بالحسنى والسرور»(١) .

لم يلبث أن فوض عمل البريد فى سيستان إلى طاهر الكاتب ، وهذا العمل من المهام الكبيرة التى كان يقوم بها الوزير « حسنك » من قبل . ولكن طاهر الكاتب كان كالمتردد لاختلال أعماله واعتراه الخجل ، فلم يكن يحضر إلى الديوان إلا نادرًا وإذا هو حضر يومًا فسرعان ما يعود فيعكف على الشراب ، إذ كان ذا خير ومال كثير فهو يملك عددا كبيرا من الغلمان الحسان وأبهة فائقة واتفق أن أمر السلطان أن يختاروا أربعة من الرجال ويقوموا من قبله بأعمال الإشراف على المملكة كلها وقال السلطان لطاهر:« ينبغى أن توعز من قبلنا إلى أبى نصر (مشكان) حتى يكتب المنشورات لهم » فجاء طاهر إلى أبى نصر وأخبره بالأمر فقال هذا : « حسنا سأعد النسخ اللازمة . فانصرف طاهر مستاء وأرسل حاجب داره إلى (أى أنا أبى الفضل البيهقى) يبلغنى قوله : « أريد أن أحدثك عن أمر هام ورسالة إلى أبى نصر، فعرج علينا عند عودتك من الديوان فأخبرت أستاذى بذلك فقال : إذهب . فسرت إليه بعد عودته من الديوان وكانت داره فى حى سيمكران فى شارستان بلخ ، وإذا بى أرى داراً كالفردوس الأعلى مزدانة بأبهى زينة وأفخم رياش(٢).

---

(١) البيهقى ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) نفسه ص١٥٤ ، ١٥٥ .

وكان طاهر شهما كريما عالى الهمة فأجلسنى معه فى صدر الغرفة وصفوا أمامى مالذ وطاب من شتى أنواع الطعام ، وأتى المطربون والندماء وأخذوا فى العزف والغناء ، فأكلنا ثم انتلقنا إلى مجلس آخر كانوا قد أعدوه خصيصًا للشراب وهناك رأيت من الترف والزخرف ما يفوق الحد والوصف وبدأنا فى الشراب وساد اللهو والغناء ، فلما أديرت الأقداح ، تقدم خازنه ووضع خمسة من الحلل الثمينة وكيسا يحتوى على خمسة آلاف درهم ، ثم قاموا ووزعوا إثر ذلك مالا كثيرًا وثيابًا على الندماء والمغنين والغلمان : فكلمنى طاهر همسًا أثناء ذلك قائلاً : « إنى لا أنكر الخواجة أبى نصر وتقدمه والمكانة التى نالها من أمد بعيد ولكن الناس يتسابقون إلى حضرة السلطان بغية الحصول على الشهرة والجاه ، وإنى وإن كان لكلينا المقام الأول فى هذا الديوان لأقدره وأجله وسوف يسند السلطان إلى عملا أكبر مما لى الآن فاتوقع من الأستاذ العميد أن يرعى جانبى، كما أقر بفضله واعترف بعظيم قدره ، وقد أمر السلطان اليوم بتحرير منشور المشرفين وتكلم فى ذلك معى ذلك لأنه والجميع يقرون بأنى أعرف من أبى نصر بالمعاملات والرسوم الديوانية وأعمالها وأموالها ، ولكنى أثرت أن أفوض الأمر إليه فعرضت عليه حرمة له كتابتها وكان المتوقع أن يطلب إلى تحريرها فلما لم يفعل رجعت متأثرا وإنما اتعبتك لأقول لك هذا كى تبلغه لو رأيت ذلك صوبًا »(١).

يقول البيهقى : « فطيبت خاطره وأجبته بما يقتضيه الحال ، ثم اديرت علينا الأقداح الكبيرة وانتهى اليوم فتفرقنا جميعًا . وارسل أستاذى (أبو نصر مشكان) يدعونى فجرًا ، فذهبت إليه وسأل عن الحال فقصصت عليه كل ما جرى ، فضحك رضى الله عنه وقال : سأطلعك اليوم عل حقيقة المعاملات والجهل بها ، وانصرفت من لدنه ثم ركب إلى الديوان وسرت فى أثره ومن

---

(١) البيهقى : ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

عجيب ما جرى أنهم بعد أن أذنوا بالمثول التفت السلطان إلى أستاذى وقال : « كنت قد أوعزت إلى طاهر أن يتكلم معك بشأن منشورات الإشراف فهل أعددت نسخها ؟ فأجاب : « رتبت مسودة لأنسخها اليوم ليطلع عليها مولانا ثم أحررها فقال : حسنا » وتغير وجه طاهر وعدنا إلى الديوان فأخذ أبو نصر قلم الديوان وشرع يكتب وقد أجلسنى أمامه لا نسخ ما يكتب وامتد بنا العمل حتى صلاة الظهر وظهر المنشور بصورة أقر الصدور والأعيان بانه ما رأى ولن يرى مثلها أحد فى معنى الإشراف أبدًا وبيضته أنا بخط دقيق على ثلاث ورقات فحمله إلى السلطان وقرأه عليه فأعجب به غاية الإعجاب ، ونسخوا من ذلك المنشور نسخًا عديدة وبعد ذلك أقر طاهر بفضل أستاذى وعرف منزلته تمامًا ولم يعد يتكلم فى أمر الكتابة أو يتدخل فيها إلى أن ذهب مع تاش فراش إلى العراق »(١) .

ويدلل أبو نصر مشكان على طيب معدنه إذا أرسل أبى الفضل البيهقى إلى طاهر برسالة يطيب فيها خاطره ، فطرب لذلك وسر غاية السرور(٢) .

وكان أبو الحسن الكاتب العراقى قلما يجلس فى الديوان(٣) ، بل كان يقضى جل أوقاته فى الخدمة لدى السلطان ، ومع أنه كان يحمل لقب الكاتب ، فقد كانت له حظوة تامة لدى السلطان ، وقد اتفق أن حضر هذا الكاتب إلى الديوان يومًا كان الصدور فيه والكتاب يجلسون إلى الجانب الأيسر من مجلس طاهر، فجلس إلى يمين الخواجة أبى نصر فى المقصورة ، فصار مجلسه بين هذين السيدين أمام الديوان وبدا العمل وكان الآتون إلى الديوان من الأعيان وغيرهم يبادرون بطبيعة الحال إلى الحديث مع أبى نصر حين يرونه ... إلا بعض من كان قد رأى طاهر بالعراق فكانوا يراجعونه أحيانًا

(١) البيهقى : ص ١٥٦ .
(٢) نفسه ص ١٥٦ .
(٣) أى ديوان الرسائل البيهقى ص ١٥٢ .

لشفاعة أو أجازة فكان طاهر يأمر أن يكتبوا له أو يتكلموا عنه[1] . وقد فوضت إلى أبى الحسن العراقى كتابة قهستان[2] .

أما « تلك » الكاتب والمترجم الهندى فى ديوان الرسائل فى عصر السلطان مسعود فكان ابن حجام ، ولكنه كان حسن اللقاء جميل الطلعة ، فصيح اللسان ، وكان حسن الخط فى الكتابتين الهندية والفارسية ، وقد امضى كثيرًا من حياته فى كشمير حيث اشتغل بالتحصيل ، فعرف قليلاً من المكر والخداع والسحر ومن كشمير جاء عند قاضى شيراز أبى الحسن فاحتفى به وكل من رآه من الكبراء يتعلق به ، وعمل فى خدمة القاضى فحصل على بعض المال وعلت منزلته ، وقد أمر القاضى بأن يعتنى به من جميع الوجوه وقام بكثير من الحيل حتى حكوا عنه إلى الأستاذ الرئيس أحمد حسن (الميمندى) وقيل أنه يقدر على إحباط كيد القاضى وكانت الصلة بين الوزير والقاضى سيئة فأرسل الوزير توقيعًا سلطانيًا مع ثلاثة من الفرسان لكن يحضر « تلك » إلى الدركاه . رغم أنف القاضى واستمع الوزير أحمد حسن إليه وعرف منه . « من أين تؤكل الكتف »[3] .

وتريث حتى يبلغ وقيعته إلى السلطان محمود بحيث لا يفهم أن الوزير هو صاحب هذا التدبير فأمر السلطان وزيره أن يستمع إلى كلام « تلك » وأصبح القاضى فى بلاء عظيم فلما انقضت تلك الدسائس أصبح « تلك » من خاصة معتمدى الوزير وقد جعله كاتبا ومترجما فيما يخص الهنود ، مثل « بيربال » فى ديواننا[4] ، وكبر شأنه وقد رأيته (أنا أبو الفضل) فى ديوان الوزير ممن لا يؤذن لهم بالجلوس ، فإنه كان يخرج بالرسائل وبما يراد

---

(١) البيهقى : ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) نفسه ص ١٥٥ .

(٣) البيهقى : ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٤) البيهقى : ٤٣١ .

ترجمته ثم يعود به بعد انجازه ، وكان يقوم بعمله على خير وجه ، فلما ابتلى الوزير بالمحنة التى ذكرناها من قبل (أى سجنه) وطلب السلطان خدمه وكتابه حتى يأمر بتعيين من يليق للخدمة فى الدركاه ، أعجب بـ « تلك » وقد أصبح هذا صديقًا لبهرام الترجمان وكان «تلك» أصغر منه سنًا وأفصح لسان وكان السلطان محمود يتمنى وجود مثل هذا الرجل فارتفع شأنه[١] .

قدم « تلك » فى الخفاء خدمات جليله للسلطان مسعود ، فقد أدخل فى طاعته جميع هنود « كتور » وبعض البيرونيين ، ولما وصل السلطان مسعود إلى بلخ من هراة وكان الملك قد استقر له ولم يكن سوندر سبهسالار الهنود فى منصبه عطف على « تلك » وأعطاه خلعة ذهبية وألبسه فى رقبته طوقًا مذهبًا مرصعًا بالجواهر ، ومنحه الخيل فذاع صيته وأقام لنفسه سرادقًا صغيرًا ومظلة وكانوا يدقون له الطبل أثناء مسيره حسب الرسم عند عظماء الهنود وكانت له راية[٢] مع الطبول إلى أن بلغ به الأمر أن كان يجلس بين الأعيان فى الخلوة وأثناء تدبير الأمور[٣] .

وكان « تلك » رجلاً حميد الخلق ولم يحط من شأنه طول حياته أنه ابن حجام ولو اجتمع له مع هذه النفس القوية والعقل والهمة أرومة الأصل لكان أكثر سموا ، ففى اجتماع العظامية والعصامية خير كثير[٤] .

---

(١) نفسه ص ٤٣١ .

(٢) التعبير الفارسى « علامات منجوق » ومنجوق هى الراية (Steingass) وفى لغت فرس ص ٢٤٩ منجوق آله وتعلق أيضًا على الشجرة الباسقة . البيهقى ص ٤٣١ - ٤٣٢ حاشية (١) .

(٣) البيهقى : ٤٣٢ .

(٤) البيهقى : ٤٣٢ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- **ابن الأثير** : (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م) أبو الحسن على بن أبى الكرم
الكامل فى التاريخ القاهرة ١٢٩٠ هـ ، ١٣٥٣هـ ، دار الكتاب العربى بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .
- **الحسينى** : (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) صدر الدين على بن ناصر بن على
أخبار الدولة السلجوقية تصحيح محمد إقبال لاهور كلية بنجاب١٩٩٣م
- **الحسينى القزوينى** : لب التواريخ
- **ابن خلدون** : (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥ - ١٤٠٦م) عبد الرحمن بن محمد
المقدمة دار القلم الطبعة السادسة ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م .
- **ابن خلكان** : (ت (٦٨١ هـ/ ١٢٧١م) شمس الدين أبو العباس
وفيات الأعيان نشر دا رصادر - بيروت ، طبعة بولاق ١٢٨٣هـ ، والمطبعة الميمنية مصر ١٣١٠هـ .
- **السيوطى** : (٩١١هـ/ ١٦٠٥م) عبد الرحمن بن أبى بكر جمال الدين
- حسن المحاضرة .
- **الصابى** : (ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧م) هلال بن المحسن
رسوم دار الخلافة حققه وعلق عليه / ميخائيل عواد ، دار الرائد العربى - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م / ١٤٠٦هـ .
- **العتبى** : (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى
تاريخ اليمينى جزءان القاهرة ١٢٨٦هـ وبه شرح الشيخ أحمد بن على الحنفى المنينى المتوفى سنة ١١٧٢هـ وسماه الفتح الوهبى على تاريخ أبى نصر العتبى .

- **ابن العميد** : (ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م) جرجس بن العميد
تاريخ المسلمين ليدن ١٩٢٥ م
- **أبو الفدا** : (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) إسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماة
المختصر فى أخبر البشر المطبعة الحسينية ١٣٢٥هـ .
- **القلقشندى** : (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أبو العباس أحمد .
صبح الأعشى القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٧م .
- **مسكويه** : (ت٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م) أبو على أحمد بن محمد .
تجارب الأمم نشر هـ . ف أمدروز مصر ١٩١٤م .
- **المقريزى** : (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م) تقى الدين أحمد بن على
١ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق ١٢٧٠هـ .
٢ - اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء تحقيق / جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ١٣٦٧هـ ، تحقيق / محمد حلمى محمد أحمد ١٩٧٧م.
- **ابن مماتى** : (٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م) الأسعد بن مماتى
قوانين الدواوين تحقيق / عزيز سوريال عطية القاهرة ١٩٤٣م
- **ابن منجب الصيرفى** (ت ٥٤٢ هـ/ ١١٤٧م) تاج الرياسة أمين الدين أبو القاسم على
١ - قانون ديوان الرسائل تحقيق / على بهجت مطبعة الواعظ مصر ١٩٠٥م الطبعة الأولى .
٢ - القانون فى ديوان الرسائل تحقيق/أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية.
- **ابن ميسر** : (ت ٦٦٧هـ/ ١٢٧٨م) محمد بن على بن يوسف بن جلب
أخبار مصر طبعة هنرى ماسيه القاهرة سنة ١٩٨٨م

- **ياقوت الحموى** : (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى
معجم البلدان مطبعة السعادة ١٩٠٦م ، بيروت ١٩٥٦م .

ثانيًا : المراجع العربية :

- **بارتولد** : فاسيلى فلاديمرج
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ترجمة أحمد السعيد سليمان ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٨م .

- **بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور)**
١ - الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى من أوائل القرن الرابع الهجرى حتى ظهور السلاجقة مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م / ١٤١٠هـ .
٢ - رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية مكتبة الإنجلو المصرية الطعبة الأولى ١٩٨٧م .
٣ - رحلات أبو منصور الثعالبى فى المشرق الإسلامى وآثارها العلمية والأدبية مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٩٢م .

- **حسن إبراهيم حسن :**
تاريخ الإسلام السياسى الجزء الثالث مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ .

- **حسن الباشا :**
الفنون والوظائف .

- **حسين أمين :**
تاريخ العراق فى العصر السلجوقى بغداد ١٩٦٥م .

- **راشد البراوى :**

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين القاهرة ١٩٤٨م الطبعة الأولى.

- **زامباور : (فون . أ)**

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى أخرجه / زكى محمد حسن ، حسن أحمد محمود ، جزءان القاهر ١٩٥٢ - ١٩٥٣م.

- **سامية مصطفى مسعد :**

الحضارة الإسلامية مطبعة الوفا بالزقازيق طبعة ١٩٩٦م .

- **عبد النعيم حسنين :**

١ - سلاجقة إيران والعراق مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٠م .

٢ - قاموس اللغة الفارسية دار الكتاب المصرى الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

- **على حسنى الخربوطلى :**

الحضارة العربية الإسلامية مكتبة الخانجى .

- **على بن خلف :**

مواد البيان .

- **فامبرى :** أرمينيوس

تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ترجمة / أحمد محمود الساداتى وتقديم/ يحيى الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى - مصر .

ثالثًا : دوائر المعارف والبحوث العلمية :

- محمود محروس قشطة :

ترجم الباب الرابع من كتاب / حمد الله المستوفى ، تاريخ كزيده مع مقدمة عن المؤرخ ومؤلفاته رسالة ماجستير كلية الآداب : جامعة عين شمس .

- دائرة المعارف الإسلامية .

- الفيروز آبادى :

القاموس المحيط .

رابعًا : الكتب الفارسية :

- أدى شير :

الألفاظ الفارسية المعربة نشر المطبعة الكاثوليكية ١٩٠٨ ، بيروت .

- البيهقى : (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) أبو الفضل محمد بن الحسين الكاتب البيهقى

تاريخ مسعودى ، المعروف بتاريخ البيهقى ترجمه إلى العربية ريحى الخشاب وصادق نشأت ، دار النهضة المصرية ١٩٨٢م .

- خليل الله خليلى :

سلطنت غزنويان مطبعة عمومى كامل ميزان ١٣٣٣هـ . ش .

- **خواندمير** : غياث الدين همام الدين

حبيب السيرفى أخبار البشر بومباى ١٨٥٧م.

- **الراوندى :** (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م محمد بن على بن سليمان

راحة الصدور وآية السرور فى تاريخ الدولة السلجوقية ترجمة / إبراهيم الشواربى وآخرون ، القاهرة ١٩٦٠م .

- **عبد القادر بن ملوك شاه بدوانى :**

منتخب التواريخ ككلتا ١٨٦٨م .

- **الكرديزى :** (عاش فى القرن الخامس الهجرى) : أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك

زين الأخبار تحقيق / عبد الحى حبيبى من منشورات ، إيران .

- **محمد موسى هنداوى :**

المعجم فى اللغة الفارسية .

- **ميرخواند :** محمد بن خاوندشاه بن محمود

روضة الصفا نسخة فى مجلدين ، طبع برلين .

- **النرشخى** (ألفه بين سنتى ٣٣٢ - ٣٣٧ هـ) أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى

تاريخ بخارى ، وملحق به ترجمة الفصل الثانى من الباب الرابع لحمد الله المستوفى : تاريخ كزيدة ترجمة / أمين عبد المجيد ونصر الله مبشر الطرازى . دار المعارف .

- **نظام الملك :** (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) أبو على الحسن بن على بن أسحق الطوسى .

سياست نامه ترجمة وتعليق / الدكتور / السيد محمد العزاوى ، دار الرائد العربى .

خامسًا : الكتب الأجنبية :

1. Ali : M. A. Anew History of indo - Pakestan (Dacca 1970).
2. Bjorkman. W. el Art : Diplomatigue.
3. Bosworth : (C. E.) :
   a) The Ghaznavids their Emperien Afghanistan and Eastern iran 993 - 1040. (Edimburg).
   b) The Imperial Policy.
4. Lane Poole (Stanley) :
   (A) The Muhammadan Dynasties (Paris 1925).
   (B) Medival India under the Muhammedan Rule. (New york 1963).
5. Rabie H : The Financial System of Egypt.
6. Nazim (M) : The Time and Life of Mahmoud of Ghazna. (Cambridg 1931).



رقم الإيداع ١٥٢١٨/١٩٩٧
I.S.B.N. 977-19-5102-5

المطبعة الإسلامية الحديثة
٤٢ ش دار السعادة – حلمية الزيتون
القاهرة – ت : ٢٤٠٨٥٥٨

